هارون هاشم رشيد

وردة على جبين القدس



قصائد للسجناء والمبعدين

دار الشروق

للقصائد
حناء و
المبعدين

قصائد للحكماء والمعذبين

دار الشروق

القاهرة : ١٦ جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨
٣٩٢٩٣٣٢ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس :
93091 SHROK UN بيروت : ص.ب . ٨٠٦٤
هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ فاكس:
٨٦٧٥٥٥ - تلكس : SHOROK 20175 LE

الطبعة الأولى ١٩٩٨

تصميم ورسوم : محمد حجي

شعر ، هارون هَاشِم رشِيد

إهـــــداء..

إليهــــم ...

فى ليل الظلم والقهر...

إليهـــم ...

إلى الأعزاء الذين أحبوا الوطن وافتدوه

إلى من أحبوا الحرية

وشقوا الطريق إليها

إلى كل السجناء والأسرى

فى سجون الإحتلال الظالم

بشراهم بالفجــــر

وبشراهم بالنصر

هــارون

صباح الخير للسجناء ..

(إليهم إلى كل الأسرى والسجناء
في ليل السجن الصهيوني)

(١)

صباحُ الخيرِ . .
تحملها إلى الأحبابِ
أسرابُ الحسَاسينَ
تدورُ بها مولهةً على كُلِّ الزَنازينِ
تَحُطُ على شبَابيكِ مُغَلَّقةٍ
وتُنْشدُ للْمَسَاجينَ
وتَحْملُ شلْحَ زَنبقَةٍ لهمْ
أو غُصْنَ زيتونِ
منَ الوَطَنِ الذّي لا مثلُهُ
أحلى
منَ الوَطَنِ الفَلَسْطيني

(٢)

تَقُولُ لَهُمْ : صَبَاحُ الخيرِ

لِلْغُرِّ الميامينِ
صَبَاحُ الخيرِ مِنْ «عكا»
وَمِنْ «يافـا»
وَمِنْ ربواتِ حَطّينِ
وَمِنْ «غزةَ»
مِنْ مسجدها المعْمُورِ
مِنْ نَفْحِ البَساتينِ

(٢)

صباحُ الخيرِ مْنِ أهليكمو البُسطاءِ
مِنْ ليلِ المسَاكينِ
وَمِنْ أوجَاعِ مَظلُومٍ
وَمِنْ أناتِ مَحزُونِ
صباحُ الخيرِ
مِنْ توقِ النَّوى المشْبوبِ
مِنْ نبضِ الشَّرايينِ

(٤)

صباحُ الخيرِ

يا أحبابنا الأحرار

يا أملَ الملايينِ

ويا لمعَ السَّنا ، والضَّوْءِ

فى ليلِ التَّشَارينِ

على ميعادِنا نبقى

على العهدِ الفلسطيني . .

القاهرة ١٩٩٧

عيني على السُّجناء

[مع كل فجر يهزم الظلام .. مع كل صباح ينشر الأمل .. صباح الخير لهم]

(١)

عينى عليهِمْ، فى ظلامِ القَهرِ، فى السِّجن الكبيرِ
عينى عليهمْ، بينَ موقوفٍ، ومسجونٍ، ومعتقلٍ أسيرِ
عينى عليهمْ فى زنازينِ العَذابِ المُرِّ ليلِ الزّمهريرِ
أغلى الرِّجالِ همو، وخيرةُ نسوةِ الشَّعبِ الجسورِ

(٢)

أحصي، ومَنْ أحصي. . ؟ يتوهُ العدُّ يغرقُ فى السُّطورِ
آلاف، ما مِنْ سامعٍ صوتًا لهمْ، ما مِنْ مُجيرِ
مَا حَالهمْ. . ؟ لا الغوثُ يبلغُهْم، ولا صحوُ الضَّميرِ
فالنَّاسُ مشغولونَ عنهمْ فى تَصاريفِ الأمورِ
النَّاسُ مشغولونَ فى زَهوِ المناصِبِ والقُصورِ

شـغلتـهُم الدُّنيـا ، عن السُّـجناء عَنْ أغلى النُّسـورِ
عَـمَّن على درب الفـداءِ مشـوا ، على صـوتِ النَّفـيرِ
حـملوا الأمـانةَ ، صـادقينَ ، مـشـوا على لهبِ السَّعيرِ
لا الظُّلمُ أرهبـهـمْ ، ولا حـادوا عنْ الهَـدَفِ الكبـيـرِ

(٣)

عينى عليهمْ . . خاطرى ، حُبى أحاسيسى شُعورى
أهلوهمـو فى الحُـزنِ وحـدهمـو وفى القَلَقِ المُثـيـرِ
تتطاولُ الأيامُ قـاسـيـةً تَوالى بالسنينِ وبالشُّـهـورِ
مَنْ قـد رآهـمْ تحت هطلِ الغـيثِ فى اليـومِ المطيـرِ؟
أومَنْ رآهـمْ تحتَ عينِ الشَّـمسِ فى اليَـومِ الحَـرُورِ؟
سـاعـات . . هُـمْ فى الانتظارِ لإذن جـلادٍ غَـرُورِ

(٤)

سُـجَناءُ نَحْنُ كـمـا هُـمـو ، فى القيـدِ فى ذُلِّ المُغـيـرِ
أنفـاسُنا مـخنوقـةٌ ، والنَّارُ تَغلى فى الصُّـدورِ
منْ نَحْنُ فى دُنيـا التَّـخـاذلِ والتـراجعِ والغـرورِ؟
مِنْ غـيـرِ أن تعلو لنا الرَّايـاتُ فى كلِّ الثُّـغـورِ

مِنْ غــيــرِ تحـقـيـقِ السَّـلامِ الـعــدلِ تقــريرِ المصـيــرِ
مِنْ غــيــرِ أن نلقـــاهمُ طلقـــاءَ مِنْ قـــيـــدٍ ونيــرِ
مِنْ غــيــرِ عَـــودَتهـمْ نظَلُّ كطائرِ الحُــزنِ الكســيــرِ
فَـهُــمــو البِـشَــارةُ بالـصَّــبــاحِ الحُــرِّ بالـفـجـرِ المُـنيـرِ
ولـهمْ ولـيسَ لـغــــيـــرهـمْ جُـــدِلَتْ أكـــاليلُ الزُّهُـورِ

القاهرة : ١٩٩٤



عبد الهادى سليمان غنيم

وردة على جبين القدس

[عبدالهادى سليمان غنيم ابن معسكر النصيرات فى قطاع غزة بطل عملية الحافلة رقم ٤٠٥ على طريق القدس الذى يواجه حكما إسرائيليا بستة عشر مؤبدا]

(١)

«اللهُ أكبرُ» . . فُجِّرَتْ تَتَرَدَّدُ
والقدسُ، شاخصةُ المآذِن تشهدُ

«اللهُ أكبرُ» . . يوم أطلَقَها الفتى
عبرتْ إلى أم الشَّهيدِ، تُزَغردُ

قالتْ لها : ثاراتُنا لما تزلْ
نِبْراسَ ثَورتنا، يُضِيءُ، ويُوقدُ

مَنْ قالَ أنَّا قد نَسينا ثأرَنا
أو أنَّنا عَنْ ثأرِنا نَتَرَدَّدُ

عينٌ بعين، لَنْ نُغَيِّرَ نَهْجَنا
سِنٌّ، بِسِنٍّ، شِرْعَةٌ تَتَجَدَّدُ

(٢)

«اللهُ أكبرُ».. يومَ فَجَّرَها الفتى
رَفَّتْ، كطيرٍ في السَّماءِ يُغَرِّدُ

حَمَلَتْ جِراحاتِ الأسى، وعذابَهُ
وتنقلتْ، تَروى الحَكايا، تَسْرُدُ

مِنْ أينَ؟ مَنْ هذا الفَتى؟ ما إسمُه؟
ولِمَنْ أطلَ صباحُه المُتوقدُ؟

حملَ العذابُ شهورَه وسنينَه
وأتى كما السَّيفِ المهنَّدِ يُجْرَدُ

من شاطئِ الأحزانِ، حيْثُ ترَعْرَعَتْ
روحُ البطولةِ، .. وجهُهُ المُتمردُ

ومن «النُّصيرات» الذى قاسى الفتى
ليلاتِهِ، دوّى النّفيرُ المُرعدُ

إن «النُّصيراتَ» الحبيبَ مُكبلٌ
بسلاسلِ الغزو الرهيبِ، مُقيّدُ

وجراحُه، لمَّا تزلْ مفتوحةً
ما مِنْ يدٍ تأسو الجراحَ تُضمّدُ

مازالتْ الدُّورُ التى عن أهلها
سُلخت، تثيرُ حنينَهُ، وتُجدِدُ

مازالَ: ماذا عنهُ فيضُ خواطرٍ
تَتَرى، وأفكارٌ تُثارُ وتُسْرَدُ

هو كانَ، لما أُسِّسَتْ أكواخُه
وأُقيمَ يحلمُ بالرُّجوعِ، ويُوعدُ

العائدونَ به على ميعادهِمْ
يترقبونَ متى يحينُ المَوعِدُ

نَشَأ التّلاميذُ الصِّغارُ تواليًا
أجيالَ في حِضْنِ الشّقاوة تُولدُ

يتعلمونَ صباحَ كُلِّ ترقبٍ
أنَّ الجِهادَ هو الطريقُ الأوحدُ

وبأنَّ مَوطِنَهمْ، لهم أبدًا، وإنْ
طالَ الطَّريقُ بهم، وعَزَّ المَقْصِدُ

كانَ الشِّتاءُ يزورهمْ، فيثيرهمْ
ويؤرقُ اللّيلَ الطّويلَ، ويُسهدُ

وتظلُّ أعينهمْ، تتابعُ قطرةً،
في قطرةٍ، مِنْ قطرةٍ، تَتَقَصَّدُ

والموتُ، منجلُ حاصدٍ مُستكلبٍ

جـــوال ينتـــزعُ الحـــيـــاةَ، ويحـــصـــدُ

عـــيشُ الـلجـــوءِ، ومَنْ يُكابدُ بؤسَـــهُ
يَـدرى لماذا الـلاجـــئـــونَ تَـمــــردوا

(٣)

هُو مِنْ «قطاعٍ»، صــامـدٍ مُـسْـتَـبْـسِلٍ
منهُ الـشَّـــرَارَةُ والـدَّوى الــمُــرْعِـــدُ

حـــملَ الأذى زمنًا، ومـــا مِنْ مـــرةٍ
خـــانَ الأمـــانةَ شـــعـــبُـــه المتـــجلدُ

الجـــوعُ يصـــرخُ فـــيـــهِ، فى أنحـــائه
والموتُ يصـــخَـبُ ظالــمًـــا ويُعـــرْبِدُ

كَـمْ طفلةٍ غـــالوا ابتـــســامـــةَ عُـــمْـــرِها
ولكـمْ صَـــبىٍ يتـــمـــوهُ وشَـــرَّدوا

ولكمْ ألوفٍ عوقوهمْ غيلةً،
أو كَسَّروا أطرافَهمْ، أو قَيَّدوا

«أنصارُ» ياوطنَ العروبةِ سُبَّةٌ
فى وجهِ مَنْ شَجبوا البلاءَ ونَدَدُوا

فيهِ مِنَ الآلامِ ما لا مثلُها
عينٌ رأتْ أو أبرياءُ هُدِّدُوا

حظرُ التجّول تَحْتَهُ فى ظلِّه
يتحركُ الجيشُ المغيرُ، ويُفسدُ

أيامُهُ تمضى كما لياته،
سوداءَ حالكةً، تُذلُ، وتُجْهِدُ

يتَقلبُ الباغونَ، كلُّ مغامرٍ
مِنْهُمْ يُجَرِّبُ حظَّهُ ويُفنِدُ

ويظلُّ كالطودِ العظيمِ قطاعُنا

فى وجهِ من ظلموا يعزُّ ويصْمدُ

تتناقلُ الدُّنيا، حَديثَ شَقَائه
وثباتِه وصُمودِه، وتُمَجِّدُ

(٤)

غنى صغيراً «عائدونَ» ولم يعدْ
وتخلفَ النُّصراءُ عنهُ، وحُيِّدُوا

رسم البلادَ بقلبِه وعيونه
شِبْراً، فَشِبْراً، بالدِّماء تحُدَّدُ

سكنتهُ إنساناً يموجُ طُموحُه
لغدٍ يُضيءُ بهِ، ويُسعدهُ الغدُ

قَدْ شاءَها وطنًا عزيزاً ناعمًا
بالنَّصرِ يرْفِلُ، بالمحبةِ يَسْعَدُ

قـــد شـــاءَها وطنًا ترفـــرفُ فـــوقَـــهُ
أعـــلامُـــهُ، وبـهِ يُعـــزُّ ويُحْـــمَـــدُ

مـــا خـــانَهُ يومًـــا، ولا عَـنْ دربه
مـــــالتْ بـهِ ريحٌ ولا طـاشـتْ يَـدُ

(٥)

دارَ الفـــتى، عـــينانِ فى أُفق الـدُّمـــا،
تتـــلألآنِ، وقـــد أطلَ الـمُـــوْعـــدُ

فى الاعـــتـــقـــالِ، وفى السَّـــلاسل إخـــوةٌ
من أهلـهِ ذاقـــوا العـــذابَ وقُـــيِّـــدُوا

فـــهناك فى حِـــضْنِ «النُّصـــيـــرات» الَّذى
فى الانتظارِ حـــبـــيـــبـــةٌ تتـــوجـــدُ

هى أُمُـــهُ مَنْ أرضـــعـــتـــهُ رجـــولةً،
وبطـولةً، وبـهِ تتـــيـــهُ وتَسْـــعَـــدُ

تَدرى، بأن طريقَهُ ملغومةٌ
تَدرى.. ويدرى قلبُها، ويُعدّدُ

لكنَها نَذَرتْهُ مُنذُ وجوده
لبلادهِ.. وفؤادها يتنهَّدُ

هى مثل كُلِّ الأمهات تريدهُ
يهنى، ويبنى عُشَّهُ، ويُشيِّدُ

لكنَّ ظلَّ الاحتلالِ، وقهْرَهُ
ينأى بأغلى الأمنياتِ ويبعُدُ

تصحو تنامُ على خطى أجنادهِ
محمومة تُشقي الحياةَ وتُفْسِدُ

الاحتلالُ بقهرهِ، وبظلمهِ
عاتٍ يدمُرُ فى البلادِ يُعربدُ

(٦)

غـــالٍ عليـــهـــا ابنهُـــا، ونَجـــيُّـــهـــا
يمضي على الدّربِ الـمَـــخُـــوفِ، ويُبـــعـــدُ

غـــالٍ عليـــهـــا، أن يـهـــدَّمَ بَيْـــتُـــهُ
ويدمَّـــرَ العُشُ الّذى قـــد شَـــيَّـــدُوا

لكـنـمـــا الأغـلى عليـــهـــا أرضُـــهُ،
وتـرابهُ، وتـراثُـه، والمَحْـــتِـــدُ

لكـنـمـــا الأغـلى بـلادٌ تُفْـــتَـــدى
وتحـــرُّرٌ يُرجى، وفـــجـــرٌ يُولـدُ

كـــانتْ هديتُـــهـــا إليـــه قـــبلةً
فـــوقَ الجـــبينِ، ودمـــعـــةً تتـــجـــمـــدُ

قـــالت: على اسمِ الله خطوكَ فـــانطلقْ

تُـرعـى بـعـين الـلــهِ أنَّـى تُــوجـــــــــدُ

كَـــبِّـــــر فَللتكبـــــيــــرِ فـى أوطانِنَا
رجعٌ، كـــــزلزالٍ، يَمُـــــورُ ويُرعـــــدُ

(٧)

هو فى طريق القـــدسِ، . . وهى عـــروسُـــهُ
عِنْدَ «النُّصــيــراتِ» المحـــاصــرِ تَرقُـــدُ

مـــازالَ فى أحــشـــائهـــا من نبـضـــهِ
أملٌ، من الحــزنِ الكبـــيـــر ســيُــولدُ

مـــاذا تُرى قـــالت لـهُ، لما مـــضـى
وبـأى قـلـبٍ ودعـتْ تَـتَـــــــــجَـلَّـدُ

هي مِـــثْلُ، كُلُّ البـــاســلاتِ نســائنا
يَـعـــــرفـنَ أن طـريـقَـنـا لا تـوُصــــــد

يعـــــرفَـن أن المـوتَ مـنْ غـــــايـاتِـنـا
نرضى بلوعـــتــهِ، ولا نُسْــتَــعْـبَــدُ

هى قـــد رأتهُ أمـــامَــهـــا ، وجنودُهم
يتكاثرونَ عـليـــهِ، وهـو مُـــقَـــيَّـــدُ

ضَـــربُوه ظُلـمًـــا بالعِـــصِى وكَـــسَّـــرَوا
أضـــــلاعَ إخـــوتِـهِ ولَـمْ يتــــرددوا

لم يَرْحَــمـــوا الشَّـيْخ الـمُـسنَّ أمـامَـــه
داســوُه، واجـــتـــرأوا عليـــهِ تعـــمـــدوا

داســـوا كـــرامـــتَــــهُ، أهانوا أهـلَهُ،
وأمـــامَ عــينيـهِ اسـتـبــاحُـوا واعــتــدوا

تَـدرى بأنَّ الـعـــيشَ دون كـــرامــــة
لا يرتضيـــهِ حـبـيـبُـهـا الـمُـتَـمَـرِّدُ

هى إذ تُودعـــهُ، وحـــشــرجـــةُ الأسى

فى صـــــدرِها، من لـوعـــــةٍ تَتَـــرَدَّدُ

ترنو إليــــهِ، وفى لهـــيبِ عـــيـــونهـــا
شىءٌ تُكَتِّــمُـــــهُ، فـــلا يَتَـــحَـــدَدُ

شىءٌ كـــمـــا الدَّمعِ الَّذى من رُوحـــهـــا
من قلبِـهـــا من عُـمـقـهـــا يَتَـفَـصَّـدُ

بركـــانُـهـــا يغلى، وأشـــيـــاءٌ تُرى
مـــتـــلاحـــقـــاتٍ مـــســرعـــاتٍ تُورد

صُـــورٌ عن الزوجِ الحـــبـــيـــبِ الـمُـــرتجى
يمضى كـــمـــا الطَّيفِ الغـــريبِ، ويَبْـــعـــدُ

نهـــرُ الحنانِ، حـــبـــيـــبُـــهـــا، ونجـــيُّـــهـــا
وأبو جنينٍ فى الحَـــشـــا يَتَـــهَـــدْهَدُ

وتلفُ بالشَّـــال الـمُـطهـــرِ رأسَـــــه،
وتـضـــمَّــــــهُ، عندَ الوداعِ، تزغُـــــردُ

تَدرى بأنَ صغيرَهُ من غيره
سيظلُّ يسألُ موجعًا، ويُرَدِّدُ

سيظلُّ، يسألُ، عن أبيهِ تلهفاً
ويظلُ يحلمُ باللقاءِ، ويُوعَدُ

ستقولُ ياولدى أبوكَ قد افتدى
وطنّا تَنَاوَشَهُ الذِّئابُ الشُّرَّدُ

من أجلِ أن تحيا كريمًا شامخاً
ومعززًا، غابَ الحبيبُ السَّيدُ

غابَ الَّذى قد كُنتَ من أحلامهِ
الأحلَى، وإسْمُكَ، باسْمِهِ سَيُخَلّدُ

طَلَبَ الشّهادةَ، وهى أغلى غايةٍ
لأحبةٍ، عشقوا المواطنَ وافتدوا

فارفعْ جبينك عاليًا، ومُفاخِراً

بأبٍ، على مَرِّ الزّمانِ سَيَخْلُدُ

(٩)

نسرٌ غُدَا فيُّ الجناحِ مسافرٌ
بينَ النُّجومِ جناحُه المتوقدُ

يُعلو ويهبطُ، لا يكفُّ مَسَارُه
ويظلُّ أشرعةً تموجُ وتُفْرَدُ

وأمامَهُ، من خلفهِ، من تَحتهِ
مِنْ فوقِهِ، رَشْقُ السّهامِ يُسَدَّدُ

ويظلُّ مِنْ دَمِهِ، يُحنِّى تُربَةً
سَمراءَ ضَمَّخَها اللّظى المتوردُ

(١٠)

هَلْ للنوارسِ، أن تَحُطَّ رحالَها
مِنْ بعدِ رحلتِها الطويلةِ تَرْقُدُ؟

هَلْ شَاطئُ الأحلامِ مازالتْ بهِ

مِنْهُ، إليـــــهِ لَفْـــــتَــــةٌ وتَـوَدُّدُ

مــــاذا أتُرخي الدَّاليـــاتُ قُطوفَـــهـــا،
وَجَــدَائلُ الصَّــفْـصَــافِ هَلْ تَتَـمَــسَّـدُ

وهل الشَّـذى الهـفْـهـافُ من لَيْـمُـونهـا
مـــــــازالَ يـنفحُ بالأريجِ، ويَـرْفِـــــدُ

مـــا للنوارسِ كُلَّمـــــا شَـــامتْ على
بُعْـدٍ مَـحَطٌّ رجـائهـا تُسْـتَـبْـعَـدُ

هـذى طريقُ القــــــدسِ ليَس يَرُودُهـا
إلا الألى حـــــملوا اللواءَ وَوَحَّــــدُوا

إلا الألى حَــفِظُوا عـــهــودَ بقـــائهـــا
ونقـــائهـــا، وبهـــائهـــا، وتَجَـــرَّدُوا

(١١)

هذى طريقُ القـــدسِ، من «عُــمَـــرٍ» إلى
أبنـائنا تَـســـــمـــو بهمْ، وتُمَـــجَّـــدُ

مَنْ بالدمـاء الغـاليـات تَفَـجَّـرَتْ
منْهُـمْ يُخَـضَّبُ تُربُهـا، ويُعـمَّـدُ

القُـدْسُ عـاصـمـةُ لَنا، ولشَـعْـبنا
جـيـلٌ إلى جـيـلٍ تدومُ وتَخْلدُ

أعـداؤنا، مَنْ هَدَّمُـوا أبيـاتَنَا
ظُلْمًـا، ومَنْ جَارُوا عليـهـا واعـتَـدُوا

حَلمُـوا بِهـا، نَدْرِى، وَمِنْ أحـلامنا
ألاَّ يُقـيـمـوا عِنْدها، أن يُطرَدُوا

فَلَـنَـا مِـنَ المـاضـى، وَمِـنْ آيـاتـه
عِـبَـراً بوقـفـاتِ الجِـهـادِ تُؤيَّدُ

هاتوا الصَّليـبـيـينَ، هاتوا بعـدهمْ
جيشَ التَّتـار، وجَـمِّـعُوهُ، واحْشُدُوا

لِنُعِـيدَ تاريخـاً، تَلألأ حَـرْفُـهُ

بالنَّصرِ ، يطردُ حشدكم ويُبَدِّدُ

إنَّا على ميعادنا، فَتَرقَبوا
في كلِّ فَجْرٍ ثورةً تَتَوعَّدُ

هي ثورةُ الفقراءِ يمضي خطوها
لا خائفٌ فيها ولا مُتَرَدِّدُ

هي من كتابِ الله، من آياته
تُملي على جيل الفداءِ وتَسْرُدُ

إن الجهادَ عقيدةٌ في شرْعنا
وهو اللواءُ الواحدُ المُتوحِدُ

عينٌ على القدسِ الشَّريف، و بيته
وبمكةَ البيضاءَ، عينٌ ترصُدُ

وعلى شُطوطِ الأطلسي خيولُهُ
وجنودُ «عُقبةَ»، والجُيوشُ الحُشَّدُ

حَمَلَ الرِّسالةَ لم يخنْ أهدافَها
طفلٌ بغزةَ يافعٌ مُتَمَرِّدُ

يَرمى حجارتَهُ بوجه عداته
ويصولُ فى ساحاتهِ، ويُصَعِّدُ

وتَدورُ فى الأفقِ البعيد تطلُّعًا
عينانِ شَاقَهما الحنينُ المُسعدُ

إنَّا برغم جُنودهمْ، وعتادهمْ
لا ننثنى عَنْ عَزْمِنَا، لا نَقْعُدُ

لَسْنَا نخافُهمو برغمِ رَصَاصِهِمْ
هذا الّذى مطرًا يَزِخُ ويرفِدُ

لَسْنا نخافهمو، فإنَّ حجارةً
مِنَّا تواجهُ حشدَهم تَتَرصَّدُ

حجرٌ إلى حجرٍ، ويهدرُ عارمٌ

من موجِنا، يعلو الدّروبَ ويُزْبِدُ

(١٣)

قالوا بأنّا الأغبياءُ لأننا
مازالتْ الأوطانُ فِينَا تُوعَدُ

ولأننا بتُرابِها، وحِجَارِها
وفَضَائِها، وسَمَائِها نَتَعَبَّدُ

ولأننا ما رملَةٌ من أرضها
إلا وفى أحداقنا تَتَعَمَّدُ

ولأن مِنْ «رفح» إلى «صفد» لنا
فيها وقوفٌ خالدٌ، وتَوَجُّدُ

ولأن «حيفا» لم تزلْ ميناءنا
ولأن كرْمِلَها بِنا يَتَوَرَّدُ

ولأن «يافا» فى عيونِ صغارنا

لَمَّا تَزَلْ رَفْرَافَةٌ تتهجَّدُ

ولأن «رَمْلَتَنا» هناكَ و«لُدنا»
نيرانُ أشواقٍ بنا تَتَوقَّدُ

ولأننا . . ، ولأننا . . ، ولأننا
ويطولُ ما يُحكى، وما يَتُرَدَّدُ

قُلنا لهم إن كانَ حبٌّ بلادنا
هذا غباءٌ، فالغباءُ مُخَلَّدُ

(١٤)

لا سلمَ والأجنادُ فوقَ رءوسنا
أكعابُهم، وحُقوقُنا تَتَبدَّدُ

لا سلمَ إن السّلم يُشرقُ نورُها
يوم انزياحِ المعتدين وتُقْصَدُ

إن السلام هو العدالةُ ما سوى

هذا سلامٌ يُفتَدَى ويؤيدُ

إن السّلاّم بأنْ تكونَ حقوقُنا
محفوظةً لا تستباحُ وتوأدُ

فَهَلِ العدالةُ أن نُطاطئ رأسَنا
للغاصبين، ونُستَبى ونُقَيَّدُ؟

وهلِ العدالةُ أن يموتَ صغارُنا
جوعًا، ويطوينا الظّلامُ الأسودُ؟

(١٧)

وَقَفَ الفَتى، والقدسُ ملء عيونِه
تبدو القبابُ مشوقةً والمسجدُ

«اللهُ أكبرُ» ثمّ أتبعها الفتى
بالانتقامِ مزلزلاً يتوقدُ

سَلِمتْ يدٌ عـــرفتْ طريقَ مَـــسَـــارِها
وتحكمتْ فــيـــــهِ فَـــلانَ المِقْـــوَدُ

مِنْ خَـــالِقٍ، ألقى بهمْ لِحَـــضِـيْـــضِـــهمْ
للمـــوتِ يطوى جـــمـــعـــهمْ، ويُبَـــدِدُ

مُـــوتوا كـــمـــا تَبْـــغُـــونَ أنتمْ مـــوتَنَا
وتَجَـــرَّعـــوا كـــأسَ المنيـــةِ واشـــهـــدوا

فَـــمِنَ الخِـــيـــامِ من الكهـــوفِ جُـــمـــوُعنَا
تأتى كـــمـــا الموجِ العَـــصُـــوفِ وتَنْهَـــدُ

حـــجـــرٌ إلى حـــجـــرٍ، وتمضى ثورةٌ
شـــعـــواءُ عـــارِمَـــةٌ تضِجُّ وتُرعِـــدُ

(١٨)

أقـــبلتَ فى الأقـــمـــارِ أروعَ مَـــشْـــهـــدِ
اللهُ أكـــبـــرُ جلَّ ذاك المشْـــهـــدُ

النَّارُ تأكلهمْ، وتَذْروا جَمْعَهمْ
وصُراخُهمْ يعَلو، وأنْتَ مُمَدَّدُ

عينانِ مطبقتانِ، ياليتَ الثّرى
وهدوءُ إنسانٍ، وقلبٌ مُجْهَدُ

وجهٌ كما بدرِ السّماءِ مُجَلَّلٌ
بالكبرياءِ مُنَورٌ مُتَوَرِّدُ

غَضَّتْ جبالُ القُدسِ عندكَ طَرْفَها
وَحَنَتْ عليكَ مَشُوقةٌ تَتَوَدّدُ

شَرَّفتَها، ونَفَخْتَ فيها روُحَها
وبَعَثْتَها تَسمو شُموخًا تَصْمِدُ

الانتفَاضَة منذُ شبَّ لهيبُها
هيهات تهدأ نارُها أو تُخمدُ

(١٩)

عـــينى عليكَ، حــــبـــيبَ قلبىَ مِنْ هُنَا
أرنو إلـيكَ أنـا الطَّريدُ الـمُـــبـــعـــدُ

وأراكَ حَــــوْلكَ عُــصْـــبـــةٌ مَـــجْنُونَةٌ
شـــوهاء بالإثـمِ الـمُـــدمــرِ تُحــشــدُ

هـم يســـألونكَ . . فــيمَ أنتَ فَــعْلْتَــهـــا؟
عـــجــبًـــا . . أمـــا علمـــوا لماذا تَحْــقِــدُ ؟

أيُقَـــتِّلونَ صِـــغـــارَنا، ونســـاءَنا
ونَظَلُّ كـــالموتى، نُبَـــاحُ، ونحُــصـــدُ ؟

هُـم يَسْـــألـونك مَنْ رِفـــاقُكَ؟ مـن تُرى
خَطُّوا طريقَكَ؟ أحكمـــوهُ، وحَـــدَّدُوا ؟

ومَنْ الألى انتــزعــوا سِــهــامَ عــذابهـمْ ؟
والـيـــهـــمـــو رَدوا السِّـــهـــام وسَـــدَّدوا

هو فـــعلهمْ يرتدُّ مــشـئـومًــا لهم،
وبِمـــثلِ مـــا كـــالوا نَكيلُ ونُوردُ

هم يســألونَكَ: مــا انتــمــاؤكَ؟ ويحــهمْ
جَـــهِلوا فـــهَلْ هذا ســؤالٌ يُوردُ

الانتـــمـــاءُ لكُلِّ حَــبَّـــةِ رملةٍ
بالدّم خَـضَّـبــهـا الشَّـبـابُ الأمـجـدُ

«شــعــبى هو التنظيم» قلتَ مــجلجــلاً
فـيـه نُجَـمَّعُ للجـهـادِ، ونُحْـشَـدُ

نُظِّمتُ منْذُ ولدتُ بينَ صـفــوفـــه
والثــأرُ تـنظيــمى الّذى لا يُجــحــدُ

مـــا فى فلسطين التى أنتم بهــــا
إلا الـذّى مِنْ أجلهـــا يَتَـــجَلَّدُ

فَلنا نقــاءُ ســمــائهــا، وفـضــائهــا

والماءُ، والتُّربُ الّذى يتوقدُ

ولنا مآذنُها التى يعلو إلى
بابِ السّماء هديرُها يترددُ

ولنا كنائسُها، ودورُ عبادة
اللهُ فيها بالمَحَبَّةِ يُعْبَدُ

فإذا صَلُبْتُ أمامَكم، وتَجَلَّدَتْ
روُحي تُنَهنَهُ فى العَذابِ وتُجلَدُ

فلأننى أدرى بأنَ غرُوركم
هذا، سَيَقْهَرُهُ الصَّمودُ ويدحضُ

ولأننى بينى وبينَ أحبتى
عهدُ الوفاءِ مُخَلَّدٌ، ومُوطّدُ

ولأننى بالموت أنشدُ غَايَةً
تَسْمُو عنِ العَيْشِ الذّليلِ، وتَخْلدُ

(٢٠)

يــاابــنَ المــعـــــــــســكـــر إنَّ فـى أعــنــاقــنــا
دَيْــنٌ، وإن طــالَ المَدى سَـــــيُـــــسَـــــدَّدُ

أيقظــتَ فـــينا همـــــةً مـــخـــبـــوءةً
ورَددْتَهـــــا أمـــــلاً جـــمــــيـــــلاً يُـولدُ

قُـلْـتَ الَّـذى قَـــــدْ قُلْـتَ لحظـة وثـبـــــة
جُـنٌّ الـعـــــدوُّ لـهـــــا، ومَنْ قَـــــدْ هُـوِّدُوا

نُصــــراؤهـمْ زاغـت عُـــيـــونٌ بـصـــيـــرة
منْهُمْ، وطـاشَ صـــوابُهـمْ، وتَجـــمـــدوا

فَـــــرْدٌ بـجـــيشٍ، بـالـسّـــرايـا كُلّهـــــا
بـجــمـــيـعِ مـــا حَـشَــدوا ومـــا قَــدْ جَنَّدُوا

بـالـطـائـراتِ الـهـــــابـطـاتِ مَـــــذَلَّةً
تَهـــوى إليكَ كَـــســيـــرةً تـســتَـنْـجـــدُ

بمجنزرات، زاحفات مثلما
الأفيال ترجُمها الحجارُ، فَتَسْجُدُ

قُلتَ الذى قل قلتَ إن رسالةً
أرسلتها تُعْيي البيانَ فَيَجمدُ

(٢٢)

يافخرَ أُمتنا، ورمزَ خُلودها
ياأيُّها البطلُ العظيمُ السيِّدُ

الشِّعرُ يسمو بالجهادِ ويعتلى
هامَ النُّجومِ قصيدُه المتجددُ

الشِّعرُ لولا أنتَ جَفَّ مَعِينُه
وتبعثرتْ أبياتُه تتبدَّدُ

الشِّعرُ زلزلةُ النُّفوسِ بصدقه
وعطائه تسمو النفوسُ وتُحمدُ

الشّـــعـــر ليس تراجـــعًـــا، وتخلفًـــا
وتـردداً عـــمـــا نريـدُ، ونَنْشُـــدُ

الشّـــعـــرُ غـــايتُـــهُ التّـــحـــررُ والعُـــلا
وَسَـــبِـــيْلهُ النَّهجُ الـسَّـــويُّ الأوحـــدُ

عـــابوا علينا أنَّ نبـــرةَ شِـــعـــرنا
تعلو وأن قَـــصِـــيـــدَنَا يَتَـــوقَّـــدُ

وبأننا مـــثلُ الرَّصـــاصِ، كـــلامُنا
يـأتى إلى صـــدرِ العـــدو يُسَـــدَّدُ

عـــابوا علينا أننَّا لـمَّـــا نزلْ
نشـــدوا لأيام الجـــهـــادِ، ونُنشِـــدُ

مـــاذا نُـســـمـــيـــهـــا فلسطينا إذا
لـم تـأتِ شـــعـــراً رائعًـــا يَتَـــخَلَّدُ

فَلَنا الشّـــجـــاعـــةُ فى مـــواجـــةِ الألى

جـــاروا علـى قُــدْسِ العُـــروبةِ واعـــتــدوا

إنَّا نُـسَـــمي القـــاتـلين بإســــمــــــهمْ
ونُحـــددُّ الـهـــدفَ الشَّـــريفَ ونَرصُـــدُ

الشّـــعـــرُ باســمكَ، ياحـــبـيبَ قلوبنا
يبــــقى لأجــــيـــــالٍ تَـجيءُ وتـولَـدُ

يبـــقى لهمْ، ليــضيء درب وجـــودهِمْ
ويكون نِـبْــــراسًـــا، يُنارُ به الـغـــدُ

تونس : ١٩٨٨



الشيخ أحمد ياسين

نكون.. أو لا نكون

[وجهت زوجة الشيخ أحمد ياسين نداء للإنسانية من أجل الشيخ المقعد المريض فى سجون الاحتلال الإسرائيلى]

(١)

حَمَلَ البَرْقُ، صوتَها. . والأنينُ   وأتانَا، نداؤها والحَنينُ
شَيخُها الباسلُ الأبىُّ المُرَجَّى   زوجُها الطَّيِّبُ الكريمُ الحنونُ
فى دُجَى السِّجْنِ فى شقاءِ لياليه   مريضٌ مُعَذَّبٌ، مَطْعُونُ
شيخُها المُقْعَدُ العظيمُ يقاسى   لا طبيبٌ، لا زائرٌ، لا مُعينُ
قَدْ أحبَّ البلادَ - أرضًا سماءً   فهو بالأرضِ مُغْرَمٌ مفتونُ

(٢)

قالَ: ما رملةٌ نفرِّطُ فيها   حَمَلَتْها قُلوبُنا، والعُيونُ
هى منَّا لنا اشتياقٌ ووجدٌ   وعَذابٌ، وحُرقةٌ وحَنينُ
هى فى عُرفنا عقيدةُ إيمان   وعهدٌ على الوفاءِ، ودِيْنُ
قالَ ما قالَ، والجماهيرُ رَجْعٌ   لصداهُ، مُزَلْزِلٌ، وَمكِينُ
مُقْعَدٌ أعجزَ الكتائبَ والجيشَ   صبورٌ على الجهادِ أمينُ

(٣)

سَجَنُوهُ، وما دَروا أيُّ شيخٍ … هو هذا المُقَيَّدُ المَسْجونُ

سَجَنُوهُ، وهو الطَّليقُ بِروُحٍ … تَتَحدى . . فَمَنْ تُراه السجينُ؟

سَجَنُوهُ، ظنا، بأنَّ لهيبًا … من لظاهُ، يَذل يومًا يهونُ

سَجَنُوهُ، والسِّجنُ يسمو شموخًا … بالبُطُولاتِ يَزْدَهى ويَزِينُ

(٤)

الجيوشُ المُدرَّعاتُ إليهِ … زاحفاتٌ تَذلُّ خِزْيًا تَدِيْنُ

ذَنْبُهُ أنَّهُ على الحقِّ باقٍ … لا يبالى بعَسْفِهِمْ لا يَلِينُ

ذَنْبُهُ أنَّهُ يجاهرُ بالرَّأى … ويُعْلي لواءهَ، ويَصُونُ

ذَنْبُهُ أنَّهُ يقولُ فلسطينُ … لنا نَحْنُ شعبُها المأمونُ

نحنُ لا غيرُنا، حماةُ حماها … نَحْنُ درعٌ لها، ونَحْنُ الحُصونُ

قالَ . . ما قالَ، صامدًا لا يبالى … بِشَواظ العَذاب لا يَسْتَكِينُ

عذَّبوه، فما تَراخى ارتدادًا … لا ، ولا هَزَّهُ العَذابُ المُهينُ

هو يَدرى بأنَّ عُمْرَ أعاديهِ … قصيرٌ، وعَهدَهم مطعونُ

(٥)

سألوهُ: لِمَنْ فلسطينُ هذى … ولِمَنْ يهدرُ اللَّظى المَجْنُونُ؟

اسْألوا حَوْلكمْ، تجيبُ ليالٍ … هى منا لنا تجيبُ السُّنونُ

اسألوا حَوْلكمْ، تُجيبُ العصافيرُ … يُجيبُ . . الليمونُ، والزَّيتونُ

اسألوا حولكمْ، تجيبُ جبالٌ … وسهولٌ، وأربعٌ، وحُزُونُ

اســألوا حــولكمْ، تجــيبُ روابى   القــدسِ تَحكى أخــبــارَها حطّينُ
إن هذا التّـــرابَ غـــال علينا   وعـــزيزٌ، مُــــقَـــدَّسٌ وثمينُ
هذه دورنا شـــــواخصُ تحكى   فـاسـمـعوا صـوتَهـا يُجيبُ اليقينُ

(٧)

الجـــهـــادُ الّذى رفـــعنا لِواهُ   هُو مِـنْ أجلِهـــا عـــزيزٌ مَكِينُ
لا انـثـنـاءٌ، ولا ارتـدادٌ ولـكـنْ   ثورةٌ غـيـثُـهـا سَكوبٌ هَتُـونُ
بالدِّمـــاءِ، الدِّمـــاء نَروى ثراها   لا جـبـانٌ فى صَـفِّنا لا خَـئُـون
إن مَنْ عُلّمِ الجـهـادَ صَـغـيـراً   لا يُبـالى مَـتَى تُكونُ المَنُونُ
حـاورُوهُ ليـلاً، نهـارًا وخـابوا   فـهـو كـالسَّـيفِ جـارحٌ لا يلينُ

(٨)

مُقْعَدٌ صوتُه، يُجلجلُ فى السِّجنِ   فـتـهـتـزُّ مِنْ صَداهُ السُّجـونُ
هو أقـوى مِنَ السَّلاسلِ والسَّجانِ   أقـــوى فُـــؤادُه، والجَـــبَينُ
آيةٌ النَّصـر فى مـحـيـاه تعلو   وهى فـجـرٌ، مِنَ الجـهـادِ مُبينُ
هو يدرى، أن الجـمـاهيـرَ زحفٌ   لا انـحـنـاءٌ، لا ردةٌ، لا سُكـونُ

(٩)

جـاءَنا الصَّـوتُ، من بعـيـد إلينا   صـوتُهـا، وانفـعَـالهُـا المَحْزُونُ
أتنادى؟ . . ومـن تنادى؟ زمـانًا   كلُّ مـافـيـه، سـيِّئٌ مَلْعُـونُ
أتنادى؟ ومـن تنادى؟ رجـالاً   فى التـفـاهات عـمـرُهم مَـعـجُونُ
أتنادى السّيـوفَ؟ مـا مِنْ سيـوفِ   بعـدُ قَـدْ خُـبِّـئَتْ، وغـيـلَ العَـرينُ

(١٠)

تَتَــوالى الأخــبــارُ، تَتْــرى إلينا   والجــهــادُ، والمؤزرُ الميــمــونُ

أهلُنُا الصَّامـدونَ، مـا مِنْ مـجيـرٍ   لِنِدَاهُمْ، ولا صَــبَــاحٌ مُــبِينُ

شُـغلوا عنهمُ، فليسَ عـجـيـبًـا   أن يُشيـحـوا وجـوهَهَم أنْ يَهُـونوا

أنْ ينامــوا على جــراحِ المآسى   لا التــفــاتٌ، لا ثورةٌ، لا حَنينُ

خــيَّمَ الصَّـمتُ، فــالدِّيارُ خــواءٌ   دَبَّ فــيــهــا الخَــرَابُ، والطَّاعــونُ

يتــسلونَ باجــتــرارِ الأمــانى   والأمــانى بلوغــهــنَّ ضَنَينُ

فالتحفْ بالصُّمودِ عزاً، وصبراً   ياكــريمَ الجَنابِ، يا «ياسين»

لا تُبالى مــهــمــا تجورُ العَــوادى   أو يــشـــاءُ المراوغُ المجنــونُ

الجهادُ.. الجـهادُ، ما مِنْ سبيلٍ   غــيــرَ هذا، نكونُ.. أو لا نَكونُ

تونس: ١٩٨٩



منذر الدهشان

منذر الدهشان

[عن الفتى منذر الدّهشان الذي
يواجهُ في سجون العدو،
حكماً بثلاثة مؤبدات]

(١)

– : مِنْ أينَ «منذرُ الدَّهشان»
: مِنْ «حارة الزيتونِ» مِنْ مشارفِ «العُمْدَانْ»
– : مَنْ منكُمو توقفتْ عيناهُ،
تَقْرأُ الأسماءَ،
توقظُ التَّاريخَ
تُرجعُ الزّمانْ

(٢)

فهذه الحارةُ،
ذاتَ يومٍ،
حاصرتْ دُروبَهَا الغربَانْ
جحافلُ التتَارِ، أقبلتْ مَسعُورةً،
يَقُودُها الشَّيطَانْ،
تَحْملُ أسوأ ما سَطَّرَ التَّاريخُ،
في صفحاتهِ، وسَجَّلَ الزّمانْ
مِنْ بعدِ ما قد دَمَّرتْ بغداد

أحرقَتْ تُراثَها ، واجتاحتْ البنيان
على مشارفِ المدينة ، العزيزة المكانْ
تجمعتْ حشودهم ، وأطلقَ الإنذارَ
«كتبو غايتهم» وكرَّروا الإعلانْ
«إستسلموا ، وسلِّموا ، أو نُعملُ
السيفَ بكمْ ، ونُشْعِلُ النَيرانْ»
و«غزة» المدينةُ الشَامخةُ العرنينِ
والجامحةُ العنانْ . .
صامدةٌ فى وجههمْ ،
تُعْلنُ رفضَها الجموحَ
تُعلنُ العصيانْ

(٣)

وهاهنا ، فى ساحةِ «العُمدانْ»
تجمَّعَ الفُرسانْ
من «مصر» من محروسةِ الرَّحمنْ
توافدوا ، يُكبرونَ ، يصدحُ الأذانْ
وكانَ ، ما قد كانْ
الفارسُ الشَّجاعُ «بيبرسُ»
طاردَ الغزاةَ رَدَّهَمْ «لِعَينِ جالوتَ»

«إسلاماهُ» تخرقُ الأجواءَ
تبلغُ السَّماءَ،
توقظ الموتى، وتُشْعِلُ الذُّرى
وتلهبُ الكُثْبَانْ
و «قطزٌ» والسَّيفُ اليمانيُّ،
يدورُ فى الشمال، واليمينِ
لا يكُفُ، يحصدُ الرؤوسَ
يُبْدِعُ الطّعانْ . .

(٤)

وفى الصُّفوف كانتْ «غزة» الرجالِ
يومَها حاضرةً، بكُلَ كِبْرِها الطّالعِ
من تُرابها، والعُنفُوانْ
عَن أمةِ الإسلامِ،
كانَ ذاكَ اليومُ
عَنْ كرامةِ الإنسانْ
بوقفة الرجال، كانَ النَّصرُ ساطعًا
يُشرقُ مثلَ، الشّمسِ،
يَدْحَرُ الدُّجى،
ويقهرُ السُّلْطانْ

(٥)

هذى هى العمدانْ

وهذه «غزةُ» يا «منذرُ»
مُنْذُ أوَّل الزَّمان،
حتى آخرِ الزَّمانْ
القلعةُ التى على أبوابها
يَسْتَسْلمُ الغزاةُ،
يرفعونَ الرَّايةَ البيضاءَ
يُهزمُ الطُّغيانْ..

(٦)

«غزةُ» ياحبيبها،
تحكى لياليها وتروى،
قصةَ الفتى الدَّهشانْ
أحبَّها، وَذَاد عَنْ حيَّاضها،
قاتلَ، كانَ قدوة الفتيانْ

(٧)

يا «منذر الدَّهشان»
كَمْ مؤَبَّد شاؤوهُ،
فى أحكامهمْ، فى شرعة البهتان؟
فى الزمنِ الردىء، والـمُهان
يُحاكمُ البرىءُ،
والمقاتلُ الجرىءُ،
يَحْكُمُ المُدَانْ

لأنهُ . . يا «منذر» الحبيب،
فى زماننا المعوج،
غُيّرتْ أعْرَافهُ، وبُدِّلتْ،
وانقلبَ الميزانْ

(٨)

أمُكَ يا حَبِيْبَهَا،
قَدْ زَغْرَدَتْ، ولَوَّحَتْ منديْلَها
مُخْتَالةً، يَقْطرُ منْهُ الحُبُّ والحَنانْ
يُعَطِّرُ السَّماءَ،
بالفداء،
عاليًا، وعالياً يرتفعُ النِّيشَانْ

(٩)

قَدْ زغردتْ أمُكَ،
لَمْ تَشُق ثَوبها فى وَجْهِهِمْ،
لَمْ تَدْمعْ العَيْنانْ
: - «إصمدْ» تَقُولُها،
يُرَددُ الصَّدَى،
الفوارسُ، البواسلُ، الشّجعان
: - مَهْمَا دَجَى لَيْلُ الأسَى،
واسودَ،
مهما اشْتَدَتْ الأحزانْ

مهما القيودُ أحكمتُ وثاقَها
واسْوَدَتْ الجُدْرَانْ
فَقَادمٌ زَمانُنَا الآخرُ،
قادمٌ مِنْ رَحمِ الأزمانْ
يُبَشِّرُ التُّقاةَ، والمرابطينَ
فى خنادقِ الصُّمودِ
بالسَّلامِ والأمان
بساعةٍ آتيةٍ يُهَدُّ فيها السِّجنُ،
مهما صَلُبَت جُدْرَانهُ،
ويُسْحَقُ السَّجانْ . .

القاهرة ١٩٩٧



سهيله أندراوس

اعتذار.. وانكسار

[إلى سهيلة أندرواس

في سجنها البعيد]

(١)

نَعْتذر، ونَنْكَسرُ، ونُخذلُ نَحنُ الشُّعراءْ

فى زمنِ الرّدة . .

غُيِّرتْ الكلماتُ، وبُدِّلتْ الأسماءْ

لن نسألَ بعدَ اليومِ

عن «المعتصمِ» الغاضبِ للشّرف العربى

ولن نتحدثَ عَنْ «أسماءَ» أو الخنساءْ»

أصبحنا نحنُ هنود العصرِ الحمر،

وسَقطَ متاعِ الأجَراءْ . .

(٢)

ياقمرَ فلسطينِ الغارق فى الظّلماءْ،

يانبضَ الحريّةِ يا كلْمَتهَا،

يا وردتَها الحمراءْ

يا «قُدسُ» . . ويا «يافا»،

يا «حيفا» المقهورة، يا «عكاء»

ياإسمَ فلسطين الضائعِ،

والمذبوحِ بسيفِ الأهواء،

يا صرخةَ كُلِّ الأسرى المنسيين،

وكُلِّ السُّجناءْ،

يا بنتَ التيهِ، وبنتَ الغُربةِ،

يابنتَ البؤساءْ . .

من يسمعُ صوتَك، هل يقدرُ أحدٌ،

أن يرفعَ إصبَعَه فى استحياءْ . .

(٣)

فى زَمَنِ الدَّجالينَ،

وزَمنِ الثرثارين،

وزمنِ الرِّقُعاءْ . .

لا يطلعُ فجرٌ،

لا يورق غُصنٌ،

لا تهدلُ ورْقَاء . .

لا تَذْرفُ عينٌ دمعةَ حزنٍ،

لا تنبثُ شفةٌ مِنْ وَجَع،

أو منْ إعياءْ
النَّاسُ كما الحيطانِ
قُلوبٌ جامدةٌ صمّاءْ،
لا تسمعُ صرخةَ ليلى
طفلتكِ،
تُناديكِ صباحَ مساءْ

(٤)

يا غُصنَ الزَّيتونِ المكسورِ، على
مئذنةِ الأقصى، البيضاءْ،
يانَوحَ شَوَطِنا التَّائقَةِ اليكِ
ويا نفحَ روابينا الخضراءْ.
أعتذرُ اليكَ،
وأشهدُأنكَ أقوى منا
أقوى من كلّ العُظَماءْ
وكلِّ الكبَراءْ..،
أقوى من كُلّ الكذَّابينَ،
الدَّجالين، وكُلّ الفُصحاءْ

من يقدرُ منهمْ أن يغضبَ
أو يصرخَ أو يستاءْ

(٥)

أسألكِ العفوَ،
فنحنُ المقهورونَ من الأطلنطِ
وحتى الشّطّ العربى،
وحتى صنعاءْ
نتوسلُ منكِ العفوَ،
ونُقْرِؤكِ سلامَ الضُّعفاءْ

(٦)

نعتذرُ إليكِ، ونعتذرُ لشَاعِرِكَ،
لليلى، ونقرُّ بأنَّا سُخفاءْ..
نعتذرُ إليكِ،
لأنا نحنُ خَرِسنا،
وجَبُنا وتَقَاعَسْنا،

عن صَرْخَتِك الخَرْساءْ. .

نعتذرُ لليلى، تنمو كالصبَّارِ

وتنبتُ فى وسطِ الصحراءْ. .

نعتذرُ لأحمدَ،

نحنُ تَخلينا عنكِ وعنهُ،

وعَنْ ليلاكِ، وعَنْ كُلِّ الشُّرفاءْ.

القاهرة: ١٩٩٦

الحبس الاداري

[.. ابتدع العدو الصهيوني أساليب شتى لتعذيب شعبنا تحت الاحتلال منها الحبس الاداري.. صرخة واحدة من مئات نسائنا الصابرات]

(١)

لمنْ أشكو تُرى الحبسَ الإداري
بلا ذَنْبٍ، بلا أي اعتبارِ
فَستّةُ أشْهُرٍ تَمضى لتأتي
على عجلٍ بتكرارِ القَرارِ

(٢)

لَقَدْ دهَمَ الجُنَاةُ، سُكُونَ بَيْتي
وَهَزُّوا في ظَلامِ الليْلِ داري
وما رَحِمُوا، ولا رَقُّوا لعَجْزي
ولا التَفَتُوا، لَتَرْويع الصِّغَارِ
لسَابعِ مرةٍ، يأتى ظَلُومَاً
قَرَارُهمو بتَجْديدِ الإِسَارِ

(٥)

أهذا العــــــدلُ فى زَمَنِ التّـــــرَدي
وفى زمن المَذَلَّةِ والصَّـــــغَــــارِ؟
ألِلإنســـــان عندهمـــو حــقـــوقٌ
وفى وطنى يُسَـــامُ بالاحْـــتِـــقَـــارِ؟
أُسَـــائلهمْ تُرى مـــا ذَنْبُ زوجِي؟
وَفـــــيْمَ يَظَلُّ رَهْنَ الإنتظارِ ؟
وأســــألُ، لا أجـــابُ. . بأي ذنبٍ
تُرى عــــاودتمو الحَــــبْسَ الإداري؟

(٤)

وَيَسْـــألُني، صِـــغَـــاري كلّ يومٍ
مَـــتى يأتي، وأعـــجـــزُ أو أُداري
ولا أسْطِيعُ أن أُحـــري جـــوابًا
لأطفـــالي، ولا يجـــدى اعـــتـــذارى
أقـــولُ لهمْ، غـــداةَ غَـــدٍ سَـيَــأتى. .
ولا يأتى، فـــأغْـــرَقُ فى انكســـارى

(٥)

أعيشُ تَوالي الأيامِ حيرى
مُضَيَّعَةً، بليلى أو نهارى
وأعجزُ أن أُزحزحَ عَنْ عُيونى
خيالاتِ الشَّقَاءِ والانْهيارِ
أفي الدُّنيا شقاءٌ مثلُ هذا،
الذى أنا فيهِ مِنْ حُزْنٍ ونَارِ

(٦)

صِغَاري كُلَّمَا زاروا أباهمْ
رَمَوني فى مَتَاهاتِ القِفَارِ
أجدِّفُ، لا أرى إلا سَرابًا
يُراوِغُني، فأغرقُ فى الغُبَارِ
وأُلجمُ لستُ أُحري مِنْ جَوابِ
لأسْئلةِ الأعزاءِ الصِّغَارِ

(٧)

لماذا..؟ فيمَ؟ لا أحدٌ يُلَبِي

ندائي أو يردُ على انهياري

أإنسانيةٌ هذي لعمري

ملطخةٌ بعارٍ، أي عارِ

بلا حُكْمٍ، ومَحْكَمةٍ وعدلِ

يظلُّ رفيق عمري فى الإِسارِ

لمنْ أشكو، وماذا قدْ تَبقَّى

لَدَيّ من الشَّكاةِ والانفجارِ

أنا أمٌّ، وكمْ أمٍ كَمثلي

ملوعةٌ من «الحبس الإدارى»

القاهرة ١٩٩٧



سمر سامي العلمي

يا أنت يا سمر...

[إلى سمر سامي العلمي
في سجنها البريطاني البعيد]

(١)

ماذا أقولُ يا سَمَرْ . . .
وكلُّ شيء ضاعَ منْ عُيُونِنا انتَحَرْ
ما عاَدتْ الشَّمس، تُحاربُ الظَّلامَ،
وما عادَ القَمَرْ

(٢)

غزةُ، وطنُ الأهلِ، ودارُهمْ،
تسألُ عنك، يسألُ الشَّجرْ
ويسألُ الشَّاطئْ،
يسألُ الموجُ الّذي، على رمالهِ انكسرْ
وتسألُ الدُّروبُ، والأزقةُ التي
تملأها الحُفَرْ
وتَسْألُ العَصَافيرُ، على جَدائلِ الزَّيتونِ،

والليمونِ، تَسْألُ الأصالُ والبُكَرْ

(٣)

تسألُ عَنْ صبيةٍ، واعدةٍ،
غابتْ سنينًا،
غابَ أهلُها فى التيهِ،
فى السَّفَرْ
تسألُ عن أسرتِك التى
من أكرمِ الأسَرْ
تسألُ عن سامى،
وعنْ زهير، عن عدنان،
تسأل الزُمرْ

(٤)

غزةُ يا سَمَرْ
كَمْ شَمَّرتْ ساعدَها،
كم أقلعتْ فى حَومةِ الخطرْ
غزةُ يا سمرْ. .
تحفرُ اسَمك الرّائعَ،
فوقَ قُبةِ الجامعِ، فى حارَتِنا،

وتنقشُ الذِّكَرْ
فهاشمُ، جَدُّ النَّبى، جارُكمْ
وجارُ دارِكمْ، مازالَ ينتظرْ
عودتكمْ مبللين بالنَّدى،
معطرينَ بالزَّهرْ

(٥)

ماذا أقولُ يا سمرْ
قد ضاعَ مِني القولُ،
شُوِّشَتْ فى رأسى الفِكَرْ
فأنتِ فى صُمودكِ الأبى،
عبرةُ العبرْ
وأنتِ والأسرةُ فى عيوننا
وفى قُلوبنا، مدى العمرْ
ياإبْنَةَ الشَّعب الّذى
ما ذلَّ مرةً، ولا انْدَحَرْ
فالانتفاضةُ التى منْ أجلها
آثرتِ موقفَ الصُّمودِ والخطرْ
تبقى أعزَ ما أبدعَ شَعْبُنا

العظيمُ ما ابتكرْ
والشُّهداءُ فى عليائهمْ
يُعَرِّشون حولَ السّجنِ،
يسألونكَ الصُّمودَ للقَدَرْ

(٦)

شامخةٌ كَما جبالِ القُدسِ
والخليلِ، مثلما نابُلسَ يا سمر
ثابتةٌ كما صُمُودنا الأغرْ
تُعلِّمينَ القادمينَ من أجيالنا،
والنَابتينَ فى مَسالكِ الشَّرَر
بأنَّ لا شيء يُساوى
لحظةَ افتداء الأرضِ،
لحظةَ الظَّفَرْ

(٧)

أواهُ يا سمرْ
يازهرةُ النَّارنْجِ
يا سَوسَنَةُ الوُديانِ
يا حبيبةَ السَّحَرْ
يا قمراً أطلَّ فى سماء غزةَ،

التى هناكَ تنتظرْ

تَجَمَّلى بالصّبر ، كَمْ شَعْبُكِ

فى عذابهِ صبرْ

(٨)

ماذا أقولُ يا سمرْ ! !

ماذا أقول بعدُ ،

قصَّر الكلامُ واعتذَرْ

القاهرة: ١٢ يناير ١٩٩٦

رسالة مفتوحة

[إلى القاضي البريطاني «باتريك جار لاند» الذى أصدر حكمه على سمر العلمي وجواد البطمة بالسجن عشرين عاما]

(١)

يا سيدى . . ،

بكيْتُ ، عندَ نُطقِ الحُكمِ ،

موجعًا ، بكيتُها العدالهْ

بكيتُها لأنها ، قَدْ طعنتْ ،

شعبى الحبيبَ ،

خيَّبَتْ آمالهْ ،

(٢)

أهذهِ هى العَدَالهْ . . ؟!

ألا يزالُ بَعْدُ ، منَ يَقُولُ :

إن فى بريطانيا ،

لَها الجَلالهْ . . !

وهى الَّتى ، قد أصدرتْ ،

أحكامَها ،

وأمْلَتْ الرِّسَالهْ . .
وهى التَّى منْ أولِ القرنِ
نُجَرِّعُ الصَّابَ من كؤوسها ،
إلى الثُّمَالهْ . .

(٢)

يا سيِّدى القاضى :
أقُولُها :
المجدُ للقانونْ ،
أرفَعُ رأسى عاليًا .
أهتفُ دومًا عاليًا ،
المجدُ للقانونْ
لكننى ياسيدى أسألُ ،
عَلَّ يسمعُ الـمُحَلَّفُونْ
عَلَّ الَّذينَ يَحكُمُونْ
فى لَحظةِ منَ الصَّفاء يُنصفُونْ
أسألُ :
فى أى شرائعِ الدُّنيا ،
يُسلَبُ وَطنٌ بأسرِهِ
وأهلُهُ إلى العَرَاءِ يُطرَدونْ؟

فى أى شرعٍ،
يأكلُ الأغرابُ زادَهمْ، وخيرهمْ،
وهُمْ يجوعونَ، ويمرضونْ؟
فإنْ تَوجَّعوا، أو صرَخَوا،
أو حاولوا شَيئًا يُحاكَمُونْ!!

(٤)

يا سيِّدى،
ماذا جَنى جَوادُ؟
وما الَّذى جَنَتْ سَمَرْ؟!
عشرونَ عامًا،
كيفَ..؟؟
من أينَ انتزعتَ الحُكمَ؟
من دفاترِ للانتدابِ،
لَمَّا تَزَلْ تُكوى فلسطينُ،
بنَارِها، وتُؤتَسَرْ؟
مَنْذُ ثُلاثاءِ جَمْجُومٍ،
وَصَاحَبيه
والكَوارثِ الأخرْ؟

مَنْذُ الثّلاثاء التّي،
تأرجحتْ بها الرءوسُ،
والأرواحُ، والفكَرْ؟
وأنتمو، أمامَنَا، وخلَفَنا،
وفوقنا، تُحاصرُوننا بالموتِ والخَطَرْ
وتَزْعمونَ أن العدلَ،
منْ دياركُمْ إلى الدُّنى انتَشَرْ

(٥)

ياسَيدى القاضى . .
تُرى سَألتَ مَرّةً،
وَهَلْ تساءَلَ المُحلّفونَ، والحُجّابْ
عَنْ دُورنا التى يَسكُنها الأغرابْ
وعَنْ كُرومِنا التى، يدورُ فى أنحائِها النُّهابْ
هل سألوا ماذا تُرى قد فعلتْ
بنا بريطانيا . والانتدابْ
هل حَاولوا أن يفتحوا الكتابْ
أن يقرأوا كيفَ أتوا بوعدهْم
فَدَمَّرُوا حيأتنا، وعَمّمُوا الخَرَابْ

(٦)

ياقاضى القضاةِ
أيها السَّيدُ
هل حاولتَ أن تسترجعَ
الأيامْ؟
أكانَ جَدُّك الَّذى قَدْ حَطَّ،
فى ديارِنا،
وأغرقَ البلادَ فى الظَّلامْ؟
أما شَعَرْتَ لحَظَةً
بعقدةِ الذَّنْبِ؟
أما تذكرتْ للحظةٍ
حكايةً للثَّاكلاتِ والأيتامْ؟
أما رأيتَ طفلةً، كما الصبيةِ
التى حاكمتَ، لا دارٌ، ولا أهلٌ
ولا هويةٌ، ولا أحلام؟

(٧)

ماذا تقولُ.. أيها السَّيدُ
للصبيةِ التى قد واجهتكَ

تلعنُ الارهابَ والإجرامْ؟
صبيةٌ نقيةٌ، كمثلِ ضوءِ الفجرِ
مثلما النَّدى، ومثلما الغمامْ
بريئةٌ أدنْتهَا،
وأنتَ تَدرى أنها
أصفى من الصفاءِ فى شُموخها
أنقى من الإلهام . .

(٨)

ماذا تقولُ، ياتُرى لفارسٍ
ينهضُ مثلَ السيّفِ
فى وجهِ الأذى، والاتهامْ؟
أما قرأت فى عينيهِ
دفقةَ الحُبِّ، ونبضَةَ الحنانِ،
روعةَ الوئامْ؟
أما تُحب مثلما أحبَّ،
أن يَعُمَّ الخيرُ فى ديارِهِ،
وينشرَ السَّلامْ؟

أماتَ كُلُّ شىء فيكَ
مثلما قد ماتَ عندَ مطلعِ
القرنِ الضَّميرُ فى بلادكْ ونامْ؟

(٩)

ياسيدى القاضى . .
أبَيْتَ إلا أنْ تعيدَ
ذلكَ الماضى البغيض ،
تُوقظَ الآلامْ
أبيتَ إلا أن تجورَ فى حُكمكَ
تحرقُ الزَّيتونَ
تقتلُ الحمامْ

(١٠)

ياسيدى القاضى :
صَرختُ شاعراً
صَرختُ إنسانًا
صَرختُ لاجئًا مشَّردًا
صرختُ واحدًا من الأنامْ

أعدتنى فى لحظة
من بعد ما لجأتُ للصَّمتِ
وآثرتُ السُّكوتَ
فى زمانِ الانفصام
لأنبشَ الأوراقَ
من مرقدِها
وأشرعِ الأقلامْ
عسى لعلَ صرختى إليكَ
توقظُ الكامنَ فيكَ
تبعثُ المبادئَ العظامْ
فتذكرُ الشَّعب الذى ظلمتموهُ
مُنذُ أن دخلتمو ديارَه
حكمتمو عليه بالإعدام .

(١١)

يا سيدى القاضى . .
رسالتى إليكَ
. عَبْرَ الرِّيحِ ، عَبْرَ المَوْجِ
عَبْرَ عالمِ الأوهامْ
تطيرُ مِنْ يدٍ إلى يدٍ

تَحُطُّ مثلَما حمامة، وادعة،

وتَحْملُ السَّلامْ

رسالتى مَفْتُوحةٌ ياسيدى

مفتوحةُ الجرحِ تظلُّ

هكذا بلا التئامْ

رسالتى تَصْرُخُ بالسَّماء

بالجبال، بالتِّلال، بالآكامْ

تَبْحَثُ عَنْ لحظة صدق،

لحظة عدل، لحظة ابتسامْ

تبحثُ عن ختامْ

وهى تَظَلُّ دونما ختَامْ

حتى يكونَ العدلُ،

سيدَ الأحكامْ

فالعدلُ وحدَه، لا غيرهُ

يحققُ الحقَّ، وينشرُ السّلامْ

القاهرة: ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٦

دعوة إلى الكتابة .. !!

[.. لعل أقل ما نعبر به عن إعجابنا بسمر سامي العلمي، وإكبارنا لمشاعرها الوطنية، والإنسانية هو أن نكتب لها وهي في زنزانتها البريطانية الباردة، لنبلغها كم هي غالية علينا وكم نحن فخورون بها..]

د. أنيس صايغ السفير ٢٠/١٢/١٩٩٦

(١)

ياإخـــوتى.. أدعـــوكمُ أن تكتـــبـــوا
لعـــزيزة، جـــوراً، وظُلمـــاً تُغْلَبُ
فى السِّـجنِ أخـتكمُ، تعـانى قـهـرَها
وبليلهـا القـاسى الطوَّيلِ تُعـذَّبُ
سـمـرُ العـزيزةُ، من لهـا إلا الألى
مـن أجلـهـم، هـذا العَـطَاءُ الطَّيـبُ
كُـونوا لهـا بِحنَانِكمْ، وحنينكم
وبِحُبِكمْ وبكلِّ مـا تتَـرقَبُ

(٢)

سَـمَـرُ العـزيزةُ، آثرتْ فى بَذْلهـا
وطنًا، يهـدَّدُ بالضَّيـاعِ ويُنْهَبُ
ضَـرَبَتْ لَنَا مَـثَـلاً، وكَـانتْ قـدوةً
فى البذلِ، لا تَخْـشى ولا تَتَـهَـيَّبُ

مــــا هَمَّـــــهــــا تَرَفُ الحـــيـــاة ولَهْــوُها
أو أيُّ مـــــا يُغْـــــرى البَنات ويجـــــذِبُ
نَهْلَتْ من العِلمِ الكثـــيــــرَ وأبدعتْ
فـــيـــــه، وظلتْ تســـتـــزيدُ وتطلبُ
جـعلتْ فلسطينَ الحـبـيـبـةَ همَّـهـــا
والغـــايةَ القُـــصَــوى التى تتَـــرقبُ
حَلِمتْ بهـــــا وطنًا، كـــــريمًا آمنًا
لا ظالمٌ فـــيـــــه، ولا مُـــتَـــعَـــصِّبُ
مـــا فـــيـــه مُـــخْـــتَلٌ يعكرُ صـــفـــوَهُ
ويُزَوِّرُ التـــاريخَ فـــيــــــه ويكذِبُ
يغـــتـــالُهُ شِــبــراً فَــشِــبــراً ظَالماً
ويظلُّ يســـــــرقُ من ثَراهُ ويَنْهَبُ

(٣)

قــــالــتْ: لأجلكِ يابلادى همَّـــتى
ولأجلِ مَنْ قَـــدْ شُـــرِّدوا وتَغَـــرَّبوا
حَـمَلَتْ أمـانيـهـا الكبـارَ تَجَـشَّـمَتْ
للصَّـعب تَهْدرُ فى الجُـمـوعِ وتَخطُبُ
«جـان دارك» ثانيـــةً تعـودُ وصُـوتُها
يعلو كـــــزلزالٍ يموجُ ويَصْـــــخبُ

عادت كما «الخنساء» فى إقدامها
لله ليسَ لغيرهِ تتقربُ

(٤)

سَمَرُ الصبيةُ، والطَّريقُ أمَامَها
داجٍ يُغَلِّفهُ الظَّلامُ المُرعِبُ
دَفَعَتْ مَشَاعِلَها، وشَقَّتْ دربَها
والحقُّ، والوطنُ الحبيبُ المأربُ
«يافا»، و«حيفا»، والدِّيار جميعُها
فى مُقْلَتَيْها صُورةٌ لا تَغْرُبُ
«والقدسُ» تَسكُنها، ويسكنُ شوقُها
المشبوبُ فى وجدانها يَتَلَهَّبُ
ومآذنُ الأقصى، وأجراسٌ على
قُبَبِ الكنائسِ تَسْتَجيرُ وتَنَدُبُ

(٥)

قُولوا لقاضِيها: ظلمتَ وأعلنوا
أن العدالةَ تُسْتَذَلُّ وتُحْجَبُ
قولوا لَهُ: إن المَسيحَ مُكَبَّلٌ
فى القدسِ ثانيةً يُساقُ ويُصْلَبُ

قـــولوا: أتؤمنُ بالمســـيحِ فـــإنْ تَكُنْ
حَـقـاً فَـفـيْمَ تجـورُ فــيــمـا تُذْنِبُ؟

أمِنَ الـعــــدالـةِ، أن تُدِينَ بـريـئـــةً
ظلمًــا.. ويقســو حُكمُكَ الـمُـتَـصَلِّبُ؟

(٦)

سَــمَــرُ العــزيزةُ، فى ســواد عُـيُــوننا
وقـلوبنا تَبــــقى ولا تَتَـــغَـــيَّبُ

فى غــزةَ البــيـضــاء، يُشْـرِقُ إسـمُـهــا
ولَهـــا بِهـــا فـــيــهـــا المكانُ الأرحبُ

هى ابنـةُ الوَطنِ الـعـــزيزِ ونَبْـــتُـــه
تَزهو بهـــا أجـــيــــالُنا وتُرَحِّبُ

هى فى فلسطين، وفى تـاريـخِـــهـــا
سِـــــفْـــــرٌ بآياتِ البُطولةِ يُكْتَبُ

(٧)

يَدمى فُـــؤادى، كُلَّمـــا اذَّكَّـــرتُهـــا
وتَضِجُّ أخـــيِلَتى، أثورُ، وأغــــضبُ

لا خـــيلُ مـــعـــتـــصمٍ، ولا أجنادُه
فى السَّـاحِ ضَلَّ المنجــدونَ، وغُــيِّـبــوا

أختاهُ عفواً، يا أعزَ بنَاتنا
ما حِيلتى، وأنا الشَّريدُ المُتْعَبُ
أنا شاعرٌ يا أختُ، سيفى كلْمَتى
فى الحَقّ أجْبَهُ لا أخافُ وأرهبُ
هى قُدرتى هذى ومالى غيرُها
قَلمٌ أحدُّ من السِّنانِ وأغلَبُ
فإذا أُقَصِّرُ عَنْكِ عَفْوك إنّني
أُختي، وحَقِكِ شاعرٌ ومُجَرَّبُ
لكِنَّهُ زمنٌ ردىءٌ كَالحٌ
غدارٌ يُنْذرُ بالخرابِ ويَنْعَبُ
فَتَجَمَّلي بالصَّبرِ، آتٍ فجرُنا
ما اسودَّ ليلٌ أو تطاولَ غَيْهبُ

القاهرة ١٩٩٧

الأرنب .. وأم إسماعيل

[مريم جمعة «أم إسماعيل» تعرفت إلى «عادل ترمس» أحد سجناء حزب الله أثناء زيارتها لزوجها جمعة المحكوم عليه بالسجن مدى الحياة]

(١)

أحكى لكلمْ . .
عَنْ «أم إسماعيل»
حكايةً لامرأة عاديةٍ
مِنْ شَعْبِنا الأَصْيلْ

(٢)

يَحْكُونَ عَنْها
فى ليالى «القدسِ»
فى «نابلسْ»
فى «غزةَ» فى «عكاءَ»
فى «الخليلْ»
يحكونَ عَنْ موقفِها النَّبيلْ
وَحُبِها للأرنبِ الجميلْ

(٣)

«عادلُ» هذا الأسمرُ
السُّكَرُ
مِنْ وَطنٍ
مِنْ أجمل الأوطانْ
ثارَ على مُحتْلِ أرضهِ
وَقَاوَمَ العُدوانْ

(٤)

لأمِ إسماعيلْ
كُلَّ أسبوعينِ رِحْلتانْ
إحداهما للسّجنِ
فى «الرَّملةَ»
والأُخرى للأرنبِ
الذّى تُحبُهُ
فى سِجْنِ «عَسْقَلانْ»

(٥)

«مَرْيمُ»
مثلَ كُلِّ أمّهاتنا
لا تَعْرِفُ الرَّفَاهْ

ولَمْ تَذُق كَغَيرِها
مِنَ المُنعْمَاتِ
لذةَ الحياهْ

(٦)

«مَرْيمُ»
لَمْ تُفكرْ مَرَّةً
فى بَيتها المَنسُوفِ
فى أولادِها السِتَّة
فى البِنْتَينْ
فهؤلاءِ هُمْ أبناؤها
قَدْ سكنوا فى قَلبها
الحنونِ فى العَينينْ

(٧)

هَلْ صدفةً بأنها «مريمُ»؟
هذه السَّيدةُ الشَّمّاءْ
وأنَ إسَمها الذّى
تحملُهُ مِنْ أطهرِ الأسماءْ
وأنها على خُطى
أسماءَ، والخنساءْ

منذورةٌ للوطنِ الذّى
تُحِبُ للفداءْ

(٨)

أُحِبُكُمْ جَمِيعكمْ
أعيشُ صَبرَ أمهَاتِكمْ
أسكنُ فى سُقوفِ زِنْزِانَاتِكُمْ
تَدورُ رُوحى حولكُمْ
فى صَحْوِكُمْ، وفى مَنَامِكُمْ

(٩)

أحَبَبْتُمو أنتمْ «فلسطينَ»
كَما أحْبَبْتُها
افتَدَيْتُمو «لُبنانَ»
مِثْلما افتَدَيتُها
فُكُل كلمةٍ نطقتمو
بها وَعَيَتُها
حَملتُها يَرِنُ فى أذُنى
أينَما أكونُ صَوتُها

(١٠)

يُسْعِدنى صُمودُكمْ

هذا الّذى قَدْ أعجزَ الظّلاَّمْ
سِيرتكمْ أحملُها معى
فى الصدر كالوسَامْ
أحكى ولا أملُّ
فالحديثُ عنكمو
يطولُ يَعْذبُ الكَلامْ

(١١)

تقولُ أُم إسماعيل
الأشرفُ الأحبُ لى
أبنائى الشهداءْ
والأشرفُ الأحبُ لى
أبنائى السُّجناءْ
مَنْ آثروا الجهادَ، والفداءْ
على قصورِ البذخِ، والثّراءْ
فَهَؤلاءْ
لا يُنَافقُون أو يُسَاومَونَ
أو يَلبسونَ جُبة الرِّياءْ
لأنهمْ أنقى مِنَ النَّقَاءْ

(١٢)

فى كُلِّ رحلةِ

لأمِ إسماعيلَ

تَنْهَضُ السّفُوحُ، والجِبَالْ

وَفَوقَها أسرابٌ مِنْ عَنَادل

تَشْدو لها، وَتُطلقُ الَمَوّآلْ

المجدُ للرجالْ

المجد للأبطال

فى لَيْلهِمْ فى سِجْنهمْ

فى قَسْوةِ الأغلالْ

يُخَبئونَ فى صَدورهمْ

تَفَجّرَ اللّظى، وَثَورةَ الزِلْزالْ

القاهرة ١٩٩٧

رسالة إلى المبعدين

[كما أعراف الصنوبر وأكمام الياسمين، حملتهم رياحُ السموم، ودفعت بهم إلى البعيد عن الوطن.. ولكنهم هتفوا.. عائدون]

(١)

مـــاذا أقـــولُ لكمْ؟ وأعــتــذرُ ... وأنا المســافرُ، هَدَّني السَّفَــرُ
خـجـلانُ، مـا عندى سِـوىَ قلمى ... وَمـشَـاعِـرِى، بالهمِ، تَسْتَعـرُ
ألآنَ جُـنديًا بمِدْفَـعِــه ... مُـتَـرَبِّصٌ، لصِـغَـارِكمْ حَـذِرُ
يرمـيـهمُ غـدرًا ويرعَـبـهمْ ... وسـلاحُـهمْ فى وَجْـهِـه حَـجَـرُ
والإحـتـلالُ تطاولتْ وقَـسَـتْ ... ليـلاتُه، واشـتـدتْ الغِـيَـرُ
فى وجـهـه أنتمْ، وغـايتُكمْ ... أن يمحى عنكمْ ويَـنْـدَثـرُ
كُلُّ الشَّـرائعِ فى وثائقـهـا ... أن يَنْتَـهي هذا ويَنْحَـسِـرُ

(٢)

أوَ تبـعـدونَ لأن غـاصَـبكمْ ... فى وجـهـه تَتَـدافعُ الزُّمَـرُ؟
أوَ تبـعـدونَ لأنَ غـايتَكمْ ... الحـقُ والإيمـانُ والـظَّفَـرُ؟
أوَ تبـعـدوُن لأن إخـوتكمْ ... شُـدُّوا باغــلال الأذى أسـروا؟
فى التلفـزات تجىءُ صـورتُكمْ ... والـثَّـلْـجُ لـيسَ يـكـفُ والمَـطَـرُ
الثلجُ يهـمـى فـوقكمْ وعلى ... خـيـمـاتكمْ يتكدَّسُ الكَدَرُ
وتكبُّـرونَ، يجيءُ صـوتُكمُ ... بالصَّـبـرِ والإيمان ينفـجـرُ

(٣)

هَذِى الوُجــوهُ نَكَادُ نَعْــرِفُــهــا أيامَ، كَــبَّــرَ عــاليًــا عُــمَــرُ

وكــأنما من كَــبَّــروا بعــثــوا فى وجــهِ منْ بحــقــوقــهمْ كَــفَــرُوا

وكــأنما الشُّــهــداءُ، قــد نهــضــوا مــاذا أُعــدِدُ، إنهــمْ كُــثُــرُ

وكـــأنما عـــادتْ مُـــجلجلةً أفـــواجُـــهــم بالحقِ تَــأتــزرُ

هذى الوجـــوهُ تَجِىءُ ثانيـــةً فَـــتُنَوِّرُ الدُّنيـــا وتنبـــهـــرُ

للهِ فـــوقَ الثَّلج ســـجـــدتهمْ تَحَتَ الســمــاءِ تَهــزُ من نَكَروا

متــمرســونَ على الصُّــمودِ فــمــا فى صــفــهــمْ خــوفٌ ولا خَــوَرُ

(٤)

تــلكَ المناديلُ التى ارتفـــعــتْ يوَم الوداعِ، مَــشَــاعِلٌ حُــمُــرُ

من خلفكمْ أطفــالُ مــا فــتــئــوا للانتــفــاضــةِ عَــسكَرٌ مُــجْــرُ

فى التلفـــزاتِ تجىءُ صـــورتهمْ لتــقــولَ للمــوتى، ألا انتــشــروا

إنا حـــملنا فـــوقَ طاقـــتنا وصـــمـــتـــمـــو وتكلمَ الحَــجَــرُ

فى التَلْفَــزاتِ نســاؤكمْ صــرختْ «الله أكــبـــر» أينَ من نَصَــروا

بل أينَ مــعــتــصــمٌ، ونخــوتُهُ لا قــيس فى السَّــاحــاتِ لا مُــضَــرُ

(٥)

مــا عــادَ فى الميــدانِ من أحــدِ خَلَتْ الدِّيارُ، وُغــيِّبَ القَــمَــرُ

أينَ الرجــالُ، وأينَ نخــوتُهمْ أيَن العـــواصمُ إنهـــا كُـــثُـــرُ؟

أو ليــسَ أهـلونـا وأخـــوتـنـا من يقـــتلونَ، وتُذبح الأســـرُ؟

أو ليس من حق لمن صمدوا ... تحتَ الحصارِ ومن له صبروا
أن يصرخوا، حتى إذا ذُبِحوا ... أنْ يَنفُروا حتى وإن قُهِروا؟
أيُحَاكِمُ المقتولَ قاتلُهُ ... ويُبرأُ الجَاني، ويَنْتَصِرُ؟
في أي عصرٍ نحنُ أيُ يد ... هَذي التي تُملىَ وتُقتَدِرُ؟
هذي التي للظلمِ جانحةٌ ... والعدلُ مَغلوبٌ ومُنْكَسِرُ

(٦)

تلكَ المناديلُ التي ارتفعتْ ... راياتُ فوقَ الشَّمسِ تَنْتَشِرُ
يومُ الوداعِ وكُلٌّ جارحةً ... في الأرضِ تصرخُ ذلَ من أمَروا
أو تبعدونَ.. لأنها صدقتْ ... أهدافكمْ في وجهِ مَنْ غَدَروا؟
ما رملةٌ الا وتَعْرِفُكُمْ ... فيها ومنها: منكمُ أثَرُ
يترعرعُ الزيتونُ من دمكمْ ... ويُنَوِّرُ الليمونُ يَزْدَهِرُ
تَرنو لعودتكمْ على لهفٍ ... الدّوُر والسَّاحاتُ والشَّجَرُ

(٧)

أنَنَامُ، كيفَ تنامُ أعيونُنَا ... وعيونُكمْ قَدْ مَسَّها الضَّرَرُ
مفتوحةٌ في اللَّيلِ شاخصةٌ ... مذهولةٌ تشجى وتُعْتَصَرُ
أننامُ والخيماتُ عاريةٌ ... في الرِّيحِ لا دفءٌ ولا سُتُرُ
ما ساعةٌ إلا ويُرعبنا ... هذا الذَّي تأتي به الصُّوَرُ
أهلوكم للهِ درهمو ... ماذا وكيفَ عليكمُ صَبَروا

(٨)

أطفالكمْ، ونساؤكمْ حملوا ... عبءَ الأمانةِ خُلَّصًا نفَرَوا

قالوا، على اسم الله خَطوتُنا ... تَتَلاحقُ الأهداف والفِكَرُ
ما هالَهمْ أن الدُّنى نَكَرتْ ... آمالَهمْ، وتنكَّر البَشَرُ
ما هالهَم أن العروبةَ نُكِّسَتْ ... راياتُها وأصابها الخَدَرُ
همْ فى الحصارِ على عهودهمو ... ما هَدَّهُمْ جوُعٌ ولا غِيَرُ
ظلوا على الحقِ الذَّى حملوا ... وتَجرعوا الآلام واصطبروا

(٩)

الدَّعمُ أينَ واينها قِمَمٌ ... تَتْرى، ومُؤتمرٌ، ومؤتمرُ
أينَ الخطاباتِ التى هَدَرَتْ ... أينَ البياناتِ التى ذَكَروا
اين القرارات التى سُطِرتْ ... لمْ يبقَ منها بعضُ ما سَطَروا
ضاعت كأنَ الريحَ تَنْثُرها ... بِدَدا فلا يبقى لها أثَرُ
قالوا انتفاضتكمْ مباركةٌ ... وأعزُ ما جادتْ به العُصُرُ
وتُرِكْتُمو للجوعِ يَنْهَشكمْ ... مجنونُ، لا يُبقى ولا يَذَرُ

(١٠)

يأتى الحصارُ تلاحقًا وعلى ... أبياتكمْ، يتكاثرُ النَّفَرُ
حتى الشعوب، القمعُ أخرسَها ... وأحالها، بكاءَ تَنْحَدِرُ
ما عندها حتى ولا قلمٌ ... يَروى حكاياكمْ ولا خَبَرُ
أما الصحافةُ فهى عاجزةٌ ... مغلولةٌ، بكماءُ تَحْتَضِرُ

(١١)

ماذا أقولُ لكمْ وبى لهفٌ ... للقائكمْ، والقلبُ ينفطرُ

في الانتظارِ، تظلُّ أرضكمُ ... مهما نأيتُمْ إنها القَدَرُ

ولسوفَ تبقى «عائدونَ» وإن ... طُمِسَتْ كَهَدْرِ الرَّعْد تنفجرُ

غنوا بها، واللهُ ناصرُكم ... وتدرعوا بالحقِ وأتزروا

لا ترجعوا إلا لموطنكمْ ... فَدُروبُهُ الخضراءُ تنتظرُ

القاهرة ١٩٩٣

صرخة إلى السماء

[تنادى وزراء الخارجية العرب لاجتماع
طارىء من أجل المبعدين]

(١)

المُبْعَدُونَ، تَحَرُّقٌ وتَطَلُّعُ
نَحْوَ الألى، شَدوا الرِّحالَ وجُمِّعُوا
هُمْ فى انتظار، للقرارات التى
مِنْ أجلِ عَودَتِهِم تُسَنُّ وتُشْرَعُ
عَينى على الوزراء طالَ نِقَاشُهُمْ
والليلُ طالَ بِهِمْ، وطالَ المَجْمَعُ
حتى، وإنَّ، وكيفَ، فى قاموسِهِمْ
كلماتُ فى أخذٍ وردٍ تُوضعُ
لتجىءَ، أقوالاً يكرِّرُ ذِكرُها
يُجلى بها وجهُ البيانِ ويلمعُ
لجأوا إلى شَرْعِيةٍ دولية
سُنَّتْ فَيُضْرَبُ من تشاءُ ويُقْمَعُ
ويطالبونَ، وليس من يدرى بِهِمْ
فى مجلس الأمن العتيدِ ويُسْمَعُ
هو للعدو مكرسٌ ومهيأٌ
فَيَسِنُّ، ما شاءَ العدو ويُشْرعُ
ما مرةً القى بثقل جهوده
للحق يعلى شأنه ويُمَنِّعُ

كل القرارات التي في درجه
خُبثتْ تعطلُ عنده وتَصدَّعُ
من مجلس الأمن العتيد تواليا
تأتي القراراتُ التي لا تَنْفَعُ
هي لُهيبةٌ، يلهو بها شيطانُه
لنظل في أحوالنا نَتقوقَعُ
يدُه تطولُ ترابَنا وسماءنا
وعدُونا في خيرنا يتَمَتَّعُ
يُحْمَى بأسلحة الدَّمَار جميعها
ونُصَدُّ عَنْ حق الدِّفاعِ ونُمْنَعُ
ما شاءَ يُلجِمُنا كأنا عندهُ
خيلٌ تشَدُّ كما يشاءُ وتخضَعُ
هم يُنكِرونَ شعوبنا حتى إذا
صرختْ، فإنَّ صُراخَها لا يُسمعُ
الطائراتُ حَوَاشِدٌ في أرضِنَا
فَتَدكُّنَا أنى تَشَاءُ وتَقْمَعُ
وبحورُنا فيها يجوبُ عدونا
يُحصي علينا ما نَقُولُ ونَصْنَعُ
آلافُ راداراتِه مِنْ فَوقنا
من تحتنا في كُلِّ ركنٍ تَقْبَعُ
والصَّمْتُ في كُلِّ الدِّيار كأنَّهُ
ليلٌ طويلٌ فوقنا يَتَربعُ

لا نأمة، لا نسمة لا كلمة
لا أي شيء عندنا يُتَوقَعُ

(٢)

والمُبْعَدُونَ هناكَ في أحزانهمْ
خُذلوا، فما جاءَ القرارُ المُقْنِعُ
حربانِ، حربٌ للعدو شديدةٌ
ومن الطبيعة هجمةٌ تَتَدفَّعُ
الثلجُ والمطرُ الغزيرُ، ولفحةٌ
للبَرد في خيماتهم تَتَوزَّعُ
والجوعُ، والظمأ المَريعُ، وقسوةُ
الآلام، والأرضُ العراءُ البَلْقَعُ
ويُقالُ ان شُعُوبَنَا مَعْنيَةٌ
بهم، لأجلهم تهبُ وتُسرعُ
ويظَلُّ حالُهمُ، كما هو لا يدٌ
تأسو، ولا عينٌ لهم تَتَطلَّعُ
ما عندهمْ، إلا انتفاضةُ شعبهمْ
في كلِّ يومٍ، باسمهمْ تَتَوجَعُ

(٣)

ياقومَنَا في كُلِّ أرض إنَني
آت اليكمْ، لهفةٌ اتَضَرَّعُ
إني لأسألكمْ، بحقِ كتابكم
يُتلى، وآياتٍ تُنيرُ وتسْطَعُ

هـل حـقُ اسـرائيـلَ أن تَـلـهـو بـكـمُ
وتـظـلُ فـى غـلـوائـهـا تَـتَـمـتـعُ

مـاذا تُـرى قـلـتـم لـهـا، وهـى الـتـى
فُـى كـلِّ يـوم، غـزوهـا يـتـوسـعُ

أو لـيـسَ لـبـنـانٌ، تَـرى مـن أرضِـكـمْ ؟
فـعـلامَ يُـتْـرك وحـدَه يـتـلـوَّعُ ؟

أو لـيـستْ الجُـولانُ بـعـض ديـاركـمْ ؟
أو مـا لـكـمْ فـيـهـا أذانٌ يـرفـعُ ؟

أو لـيـستْ الـقـدسُ الـشـريـفُ مـديـنـةُ
الـرحـمـن، شـيـدهـا الـسُّـجُـودُ الـرّكَـعُ

أو لـيـس، لـلإسـراءِ فـى أذهـانـكـمْ
ذكـرٌ يـحـركـكـمْ، وأمـرٌ يُـدْفَـعُ

مـاذا أقـولُ لـكـمْ، ومـا فـى جـعـبـتـى
عـنـكـمْ، كـثـيـرٌ، لا يُـقـالُ ويُـسـمـعُ

مـا عـادَ عـنـدى، مـا أبـاهـى بـاسـمـكـمْ
ضُـيِّـعْـتُ، واأسـفـاهُ فـيـمـن ضُـيِّـعِـوا

مـتـنـاحـرونَ فـكُـلَّ يـوم قـصـةٌ
عـنـكـم لـهـا يَـنـدى الجـبـينُ ويُـصْـفَـعُ

تـتـجـمـعـونَ فـيـفـرحُ الـوطـن الـذى
انـتـم لـهُ، والـيـكـمُ يـتـطـلـعُ

ونَـظَـلُّ فـى احـزانـنـا، وعـذابـنـا
ونـظـل مِـن كـأس الأسـى نَـتَـجَـرَّعُ

(٤)

هـو حـــــالـنـا هـذا وتـلـك حُـــــدودنـا
أصـــفـــارُ لا تُحـــصى، ولَيْـــسَتْ تُجْـــمَـعُ
إنـا نُـبـــــاهـى عِـنْـدَنَـا ثَـرواتـنـا
وجـــيـــوشُنا وحُـــشُـــودُنا، والموقـعُ
مُـــتَـــفَـــرِقُـــونَ، ولا سـبـيـلَ لجـمْـعنا
مُـــتَـــقَـــاتِـلونَ، وكلَّ يوم نُصْـــرَعُ
هَـذا عـلـى هَـذا، ومـــا مِـنْ واحـــد
مِـنَّـا يقـــولُ كَـــفـى، ولاَ يَـتَـــرَفَّـعُ
هـل بَـعْـــدَ إسـرائيل شـىءٌ آخـــرٌ
فى الـعـــالم الـعـربى، بَـعْـــدُ يُبَـــرْطِـعُ ؟
الـطـائـراتُ تجـــوبُ فـى أجـــوائـنـا
أنَّى تـشـــاءُ، كـــمـــا تشـــاءُ تُلعلعُ
تَرمي الـدَّمَـــارَ لأنـهـــا شَـــرْعـيـــةٌ
شُـــرعتْ لنا، وبـهـــا نُـصَـــدُّ ونُـمـنَـعُ
مـن قـــالَ ان سـمـــاءَنـا لـيـــستْ لـنـا
فـــى أىّ شـــــرع لا نَـــرُدُّ ونَـــرْدَعُ
هـى شِـــرْعَـــةٌ دوليـــةٌ لـلـمـــعـــتـــدي
يــرمــى بـهـــــا أوطـانـنـا ويُـــرَوِّعُ
مـــا ذنبـــهـمْ من أبْـعـــدوا أو عُـــذِّبوا
مـــا ذنبُ من ذاقـــوا الحـــصـارَ وجُـــوِّعـــوا

مــــــــا ذنبُ مَــــــرْضــــــاكُــمْ، يـظلُ دواؤهــم
عـنهـمْ، بـعـــــيـــــــداً لا يُـطـالُ ويـنفـعُ ؟

أهـنـاك انـســــانيــــــةٌ غـــــيــــــرَ الـتـى
تُحـــــمى، بزحف جـــيـــــوشــــهـم وتُدّرعُ ؟

أو لـســـــتــــمــــو بشـــراً اليسَ صـــغـــاركُمْ
اطـفــــــال، مـــــثـل صــــغـــــارهـم تَتَلَّوعُ ؟

عـــــادَ الـصـليـــبـــيـــونَ، ان حـــشـــــودهمْ
مـن كـلّ انـحــــــاء الـدُّنـى تَـتَـــــجـــــمـعُ

هى حـــــمـلـةٌ أخــــــرى، تـدقُ بِعُنْفـــــهـــــا
أبـوابَنَـا لـيـــــــلاً نـهــــــاراً تَـقْــــــرَعُ

نَصْـــــحُــــوا ننامُ على هـدير حُـــشُـــــودهـا
فـى كُـلّ أرض خُـــــــولـنـا تَـتَـــــــوزّعُ

تَخـــتـــــارُ أسْـبَـــابًا، وتُـخــفي غَـــيْـــرَهَا
ويـأيـما سَـــــبَب لـهـــــــا تَـتَـــــذَرَعُ

وتَـظَـلُّ نـحـلـم أن نُـحَــــــــقـقَ وحـــــــدةً
كُـــــبـــرى، ونَـركنُ لـلخــــمــــولِ ونهـــجعُ

ونـغـطُ فـى أحـــــــــلامـنـا، وأمــــــــامَـنـا
الـدُّنـيـــــــا، تُـحَـــــقـقُ مـــــا تَـشَــــاءُ وتَصْـنَعُ

يـا إخــــــوتـى مَــــــرجُ الـزهـور مـنـورٌ
بـكـمُ بـنـفـح اريـجـكـمْ يـتـــــــضـــــــوعُ

لـو يســـــتـطيعُ لـصــــاغ من اســــمـــــائكم
درراً تـنـورُ فـى الســــــمـــــــاءِ وتـسـطـعُ

عُمري الذّي قَضّيتهُ متفائلاً
أشدو بآمالي الكبار وأبْدعُ

تنجابُ عن عَينَيّ مِثلَ غشاوة
أحلى الأمانيُّ العِذابُ وتُنزَعُ

ماذا سَيُتركُ للآلي من بعدنا
يأتون، تاريخٌ اليمٌ موجِعُ

يا إخوتي هذا أنا أبلغتُ منْ
عُمري الذّي أبلغتُ لا أتزَعْزَعُ

قَاتَلْتُ بالقلم الجرىءِ وخضتها
شتى المعارك صامداً لا أرجعُ

واليومَ ذا عُمُري، وهذي أمتي
ماذا أقولُ لها وماذا أسمعُ؟

يا ربُ هذي أمتي ذا حالُها
فاليكَ وحدك شعبُنا يَتطلّعُ

تونس ١٩٩٣

قصائد الانتفاضة

قصيدة للانتفاضة

[فى فلسطين إرتفعت شعلة الانتفاضة المباركة
قبسا من نور يهدى المدلجين إلى
فجر الحرية والنصر...!!]

(١)

لنْ يكْسِروا شوكةَ الشعبِ الّذى وثَبا ... ولن يطأطئَ رأسٌ، طاولَ الشُّهُبا
هَذى فلسطينُ، والتاريخُ يعرفُها ... فكمْ على أرضها، كَمْ شَبَّ وانتْصَبَا
فَرَمْلَةٌ منْ ثَراها، لا تُعادلُها ... خزائنُ الكونِ، لا مالاً، ولا ذَهَبَا
تعطرتْ بدَمِ الأحرارِ تُربتُها ... وُضُمِّختْ بشَذى أذيالهمْ، حِقَبَا
أنَّى تلفَتَّ، فالآثارُ خالدةٌ ... تمدُّ أعراقَها، جاهًا لنا، حَسَبا
فى كُلِّ منْحَدرٍ، أو كُلِّ مُرتَفَعٍ ... تَسامِيًا تنْشرُ الأعلامَ، والطُّنُبا

(٢)

الانتفاضةُ، إعصارٌ، وعاصفةٌ ... وَهبةٌ، أشعلتْ فى أرضنَا اللّهبَا
أتت، إلى الغَاصِبِ المُحتلِ تُوقظُهُ ... على هديرٍ، على أبوابِه اصْطَخَبَا
«اللهُ أكبرُ»، يومَ الهولِ ردّدَها ... أبطالُها الغُرُّ، كانوا باسمِها الخُطبا
قدْ لَعْلعتْ فهديرُ الموجِ أرسلها ... تَلاحقًا، تُعلنُ الإرزامَ، والصَّخبَا
منْ شاطئ الشّوقِ، حيثُ العائدونَ به ... فى الانتظارِ، إلى الفجرِ الّذى اقترَبا

أطَالَ ليلٌ . . ؟ وكمْ ليلٍ عَلَى وَطنى تطاولاً حَطَّ حتى زالَ واحتجَبَا

(٣)

الانتفَاضَةُ، زلْزَالٌ، وملحمةٌ وثورةٌ، تتَحدى، الجيشَ، والغُربَا
أتتْ كما الفجرِ، من أعماقِ داجيةٍ سوداءَ، تبتكرُ التَّصميمَ، والغضبا
تحركتْ فى الحَنايا، حينَ عاصفُها يصُبُّ جام اللَّظى، مُستنْسداً لجَبَا
يمْتدُّ منْ غزةَ الشمَّاء لاهبُهَا للقدس مُنْدفعًا فيها، ومُنْسربَا
وتعتلى فى جبالِ النَّارِ شُعْلتُها تعيدُ فيها زمانًا رائعًا خَصِبَا
لنا . . لنا الأرضُ، آمالٌ مقدسةٌ على ثَراها نثرْنَا الجُرْحَ مُنسكِبَا

(٤)

من شاطئ البحرِ، حتى النهر موطُننا وسائلوا التِّينَ، والزَّيتون، والعنَبَا
وسائلوا المسجدَ الأقصى، وقُبتَهُ ومهَدَ عيسى، ومْن صلى ومْن خَطَبَا
من غيرُنا، فى مدى التاريخِ وَقْفَتُهُ تردُ عنهُ الأذى، والحقدَ، والنُّوبا
ومْن سوانا تحَدَّى الزاحفينَ إلى أرضِ السَّلامِ، ومنذا غيْرُنا، صَلُبا
من عَهْدِ كنعان، والفاروق باقيةٌ آثارُنا خالداتٌ، تملأُ الكُتُبَا

(٥)

قُلنا فلسطينُ . . فاهتزتْ جَوانحُنَا منَ الحنينِ، . . وشَبَّ الشُّوقُ والتهَبا
آباؤنا، فى ثَرى أقداسِها جُبلوا ولَنْ نخُونَ ترابًا، بالدَّمِ اخْتَضبا
إنَّا حَمْلنَا، على أكتافنا زَمناً عبءَ القضيةِ، لمْ نُنكرْ لها طَلَبَا

ظلتْ فلسطينُ، وَشْمًا فى مَفارقنا نقشًا على القلبِ، فى العينين قدْ صُلبا
لم نَخْتَبِيءْ، خَلْفَ رمزٍ لا يُفسِّرُنا ولا خَبَأنا اسمها، فى كُلِّ ما كُتبَا
ولا جَعَلنا فلسطيناً مُغلفةً بين السُّطورِ، تُعانى الجُهدَ والتَعبَا
مُنوَّرٌ إسمها فى كُلِّ ما سَطَرتْ أقلامُنا تنشرُ الأقمارَ والشُّهُبَا
نادتْ بنا، .. وصغيرًا كانَ فارسُها تقدمَ الصَّفَ، يمضى، شامخًا طَربًا
يرمى الحجارةَ، شَلالاً يواجههمْ لا يعرفُ الخوفَ، لا يستمرئُ الهَربَا
يضىءُ فى حُلكة الظَّلماءِ شمْعتَهُ تحديًا يَقْحَمُ الأستارَ والحُجُبَا
وكُلَّمَا لألأتْ فى الأفقِ بارقةٌ تطاولاً مَدَ كَفَيْهِ لها وثَبَا
طفلٌ نعمْ، واقرأوا فى سِفْرِ ثورته مَنْ مِثْلهُ شُدَّ نحوَ الموتِ وانْجذبا
أعيى عتاولةَ الإرهابِ أعجزهمْ وعارىَ الصّدرِ لاقى حشدهمْ، ضَرَبا

(٦)

هذا الصّغيرُ الّذى اغتليتْ طفولتُهُ ماذاقَ فى عمره لهواً، ولا لَعبًا
ولا استراحَ إلى صدرٍ يُهدْهدُهُ كما الصِّغار، ولا غَنى، ولا طَربًا
لفَ الجناحَ، على جرحٍ يُعَذِّبُهُ وآثرَ الصَّمتَ محزونًا، وما عَتبًا
فَأمَّةٌ هو منها ، ليس يُنكرُها لأنهُ باسمِها، قدْ فَجَّرَ الغَضَبا
يواصلُ البذلَ، مشدودًا لغايتهِ ما كَلَّ فى ساحةِ للبَذْلِ، أو تَعبَا
يَدرى بأنَّ الّذى فى كفهِ حجرٌ يواجهُ الغادرَ الغازى، ومَا جُلبا

(٧)

هذا الصَّغيرُ، عظيمٌ فى انتفاضته ... اختارَ من رائعِ الغَايات ما صَعُبَا
هيهات تَسْطيعُ، أجنادٌ مُدَرَّعَةٌ ... أن تقهرَ الحقَّ، أو أن تَقْبُرَ الأربا
فالانتفاضةٌ، تبقى فى تُوهجها ... حتى تُحققَ منْها النَّصْرَ والغَلَبا
حتى تعيدَ، أمانينا التى سُلبتْ ... حتى تردَ الذى قد ضَاعَ واغْتصُبَا
مُبَشِّرٌ بصبَاح النَّصرِ فارسُها ... واللهُ ينصرُ من لَبى، ومَنْ طَلَبَا

تونس: ١٩٨٨

الشبل الصغير

[قيلت في الاحتفال الكبير، الذي أقامه التجمع الدستوري الديمقراطي بتونس ومنظمة التحرير الفلسطينية احتفالا بذكرى يوم الأرض]

(١)

صَغيري .. أيها الشِّبلُ الصَّغيرُ
ويا مَنْ فِعْلُهُ .. فِعْلُ كبيرُ
وُلِدْتَ إذ الليالِيَ حالكاتٌ
فلا نجمٌ يلوحُ، ولا بَشيرُ
ولا صَدْرٌ تَلوذُ إلى حِمَاهُ
ولا بيتٌ حَواكَ ولا سَريرُ
رأيتَ بأُمِ عَيْنِكَ أيَّ ظُلمٍ
يُحُوطُكَ لا يُزَحْزَحُ أو يَغُورُ
أبوكَ مُطاردٌ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ
وأُمُك في مَآسِيها تَحِيْرُ
وفي سِجْنٍ شَقِيْقُكَ لا تَراهُ
وراءَ اللّيلِ مُعْتَقَلٌ أسِيْرُ
وَتَنْمو والأسى طُولاً وعَرضًا
وفي الأحزانِ تُغْرِقُكَ البُحُورُ

يَطُولُ الإحتلالُ ولا مُغيثٌ

مِنَ الوَطَنِ الكَبِيرِ ولا مُجِيرُ

(٢)

وأقدامُ الفِداءِ مُكَبَّلاتٌ

يُحَاصِرُها، المُراوِغُ والأجِيرُ

إذا عَبَرتْ اليكَ فألفُ واشٍ

يُنَدِّدُ، أو يُفَنِّدُ أو يَثُورُ

يَقُولُ الأبرياءُ هُمُو إذا مَا

دَعَاكَ الثَّأرُ أو ضَجَ النَّفِيرُ

صِغَارُ هُمُو، ونِسْوتُهم عليهِمْ

يَطُولُ النَّدبُ والحُزنُ المُثِيرُ

وتَخرُجُ مِنْ مَكَامِنِها الأفَاعي

تَفُحُ بِسُمِّها حِقْداً تَفُورُ

(٣)

نُسَائِلهمْ، مَنْ إجتَرأوا عَلينا

وراحَ نَقِيقُ حِقدهمو يَمُورُ

ألِلإنسانِ عِندهَمو حُقُوقٌ

ويَعْمى عَنْ مآسِينا الضَّمَيْرُ

أيأتى مِنْ أقاصي الأرضِ قَومٌ
تُقامُ عَمَائرٌ لَهُمو ودُورُ
ويُطرَدُ أهلُنَا ظُلماً وَقهْراً
وللتشريد يُسْلِمُنا النَّذيرُ
وتلكَ الأرضُ كَمْ شَرِبَتْ دِمَانا
وتَشْهدُ فى تَواليها العُصورُ
بأنَّا لَمْ نَهُنْ يومَاً وأنَّا
لَها نَحْنُ العَطايا والنُّذُورُ

(٤)

تُحاصَر الانتفاضةُ وهى منْهُمْ
لَهُمْ، ويُحاصَرُ الشَّعبُ الجَسُورُ
وفى أخبارِهِمْ تأتى اقْتِضَاباً
وَفى الأقْمارِ يَنْقُلها الأثيرُ
يُحَدِّثُ عَنْ بُطولَتِها ويَروي
حَكاياها، سَفِيرٌ أو وزيرُ
ويَرْجُمُها ويُخْذِلُها أُناسٌ
أذلاءٌ، ويَشْنُوها حَقِيرُ
يَشُكِكُ فى تَواصُلِها ويَهذى
ويأخُذُهُ التَّطاوُل والغُرُورُ

فَيَسْأَلُ كَيفَ هَلْ حَجَرٌ يُلاقي
الجَحَافِلَ، وَهي عَارِمَةٌ تُغِيْرُ
وَيَعْجَبُ كَيْفَ تَنْدَفِعُ الصَّبَايا
وكَيْفَ تَهبُّ لِلثأرِ الخُدور
وكيفَ يواجهُ الأطفالُ جيشًا
تدرَّعَ، كيفَ يَلتَهِبُ الشُّعورُ
حَديثُ الانتفاضة فوقَ هذا
تَطُولُ بِه الصَّحائفُ والسُّطورُ
ولا يدريهِ إلا من وعاهُ
ومن عاناهُ يعرفُ ما يَدورُ
هنا في تونسِ الخضراءَ منا
لنا شَعبٌ بهِمَّتهِ كَبِيْرُ
نزلناها، وقد ضاقتْ ديارٌ
بثورتنا، وقد ضاقتْ ثُغورُ
فكانوا الأهل والأنصارَ حبًا
تلقتنا، الجوانحُ والصدورُ
سنحفظُ تونسَ الخضراء عهدًا
علينا، إنه العهدُ الأثيرُ
سنذكرهُ غداةَ النصرِ يومًا
يُخلِّدُ ذكرَهُ الشَّعبُ الغَيورُ

فنحنُ، وأنتِ أدرى بالضحايا
إذا ما الشعبُ حاصرهُ المُغيرُ

ويومُ الشطِّ لن يُنْسى وإنا
معاً في درب ثورتنا نَسيرُ

يُعيدُ لسيدي يوسفَ ذكرياتٍ
خوالدَ، ليسَ تنساها الدُّهورُ

هو الشُّعبُ المُساندُ والمُضَحي
تجذَّرَ فيهِ، والتحمَ المُصيرُ

كذا تَبْقى العُروبةُ لا هراءٌ
ترددهُ المحافلُ والقُصُورُ

هي الدَّمُ في العروقِ وفي الحنايا
وفي الميدانِ زلزالٌ جَهِيْرُ

لنا لا غيرُنا، الوطنُ المرَّجى،
جبالٌ أو رمالٌ، أو صخورُ

ومن رفح إلى صفد ندانا
يظَلُّ مجلجلاً عالٍ يَمُورُ

وتبقى الإنتفاضة في لظاها
إلى أن يشرق الفجرُ المنيرُ

تونس ١٩٨٨

وقصائد لِغـزَّة

« غـزة..المحاصـرة »

[ليس جـديداً حـصـار المدنيـة العظيـمـة غـزة،
فكم حـاصـرها الغـزاه عـبـر التـاريخ. !!
وكم إرتدوا عنهـا خـائبين]

(١)

تُحَـاصَـرُ، ليَس يُرْهِبُـهـا الحِـصَارُ — ولا القَـصْفُ المُروِّعُ والدَّمَـارُ
فَـغَـزَةُ، قلعـةٌ، صَـمَـدَتْ طويلاً — وتَصْـمـدُ لا يُفَـزِّعُـهـا العِـثَارُ
سنينٌ، وهى عنوانُ التَّـحـدى — لَهـا فى وجـه غَـازيهـا اقـتـدارُ
لهـا وَقَـفَـاتُهـا، زَمَنًا طويلاً — تصـدُّ المعـتـدينَ إذا أغـاروا
تواجـهـهمْ ومَـا فـيـهـا جـبـالٌ — لتـحـمـيـهـا ومَـا فـيـهـا جِـدَارُ
وليسَ تخـافُ والضَّـرباتُ تأتى — علـى أبيـاتـهـا ، وَتشُـبُّ نارُ
لهـا السَّـيفُ المُجَلّى لا تُبـالي — بما حَـشَـدَ الألداءُ الكِثَـارُ
علـى أبوابهـا كُـسِـرَتْ يهـوذا — وعَنْ أعـتـابهـا دُحـرَ التـتـارُ
لهـا فى نَجْـدَةِ الأوطانِ سَـبْقٌ — جَـرِىءٌ لا يُشَقّ لهـا غُـبـارُ
فـأهْلُوها على دَرْبِ التَّـحدى — غِـضَـابًا، فـوقَـهُ انتـفـضوا وسـاروا
لهم فى الجـوعِ صـبـرٌ واحـتـمـالٌ — وليسَ لهـمْ على الذّلِ اصْطِبَـارُ

(٢)

مـغلّقَـةٌ، حـدودهمـو عليـهمْ ... فـلا عـونٌ يجيءُ، ولا اعـتـذارُ
ولا إن طُـوردَ المظـلومُ منـهـمْ ... يلاقى بـالحنان، ولاَ يُجَـارُ
فكَمْ أمٍ بهـا، فـقـدتْ بَنيـهـا ... فـمـا لَطَمَتْ، ولا شُقّ الإزارُ
وكَمْ شـيخٍ، عليـهِ هوتْ عِـصىٌّ ... فـمـا ذُلَّ الشُّمـوخُ، ولا الوقـارُ
وكَمْ طفلٍ، بألفٍ منْ رجـالِ ... يُلطِّخُ رأسـهمْ خـزيٌ، وعَـارُ
يُلاقي الـدّارعـاتِ، ومِنْ يديه ... على الأعـداءِ، تنهـمرُ الحجَـارُ
أطفـلٌ ذاكَ؟ أمْ بطـلٌ جـرىءٌ؟ ... يحـارُ به الوجـودُ، ولا يَحَـارُ
فَـمـنْ رَفَحٍ شَـواظُ النَّار يعلو ... «لبـيتِ حنونَ»، ينتـشـرُ الأوارُ
فكلٌّ مُـعَـسْكَرٍ، جـيشٌ كَـميٌّ ... على أقـداسِ أمَّـتِـه يُغَـارُ
أشـاعَ اللاجـئـونَ به دَوِّيا ... لَهُ فى مَـسْـمَعِ الدُّنيَـا دُوَارُ
هو الشَّـعبُ الفـدائىُّ المُـرَجَّى ... له فى البَـذْلِ سَبْقٌ واقـتـدارُ
وغـزةُ أينمـا دارتْ عُـيـونٌ ... فـثـمـةَ ألفُ مـعـركـةٍ تُدارُ

(٣)

وفى «مـرجِ الزهورِ» هناك منهـا ... رجـالٌ خُلّصٌ أسْـدٌ خِـيـارُ
على عـهـدِ الوفـاءِ، وإنْ تناءتْ ... بـهـمْ أرضٌ وإن بَعُـدتْ ديارُ
هُـمـو يـدرونَ أن الحقَّ بـاقٍ ... ومـا لهـمـو عَنِ الحقِّ انحسَـارُ
أرادوا الصَّعبَ، وانتجعوا طريقًا ... مُلَغَّـمَـةً، ومـا ضَـعُـفُـوا وخـاروا

هم الأقوى، وإنْ خُذلَتْ نفوسٌ	دنياتٌ، ولطَّخها الشَّنارُ
فَغَزَّتُهمْ، بِهِمْ، تسمو شموخًا	وَفَوقَ جَبِيْنها يَعْلُو الفَخَارُ
فما تُلهيهمو، عَمَّا أرادوا	مَنَاصبُ، أو مكاسبُ، أو عقارُ
كأنهمو الأوائلُ، يومَ جاءوا	بدعوتهمْ وفى الدُّنيا أناروا
همو للحسنيينِ بهم نزوعٌ	وطُلاَّب الشَّهادةِ منذ ثاروا

(٤)

فيا وطن العروبة، أين منهم؟	صِلاتُكَ، والتِفَاتُكَ، والحِوَارُ
وأينَ تُراهم الأنصارُ، منهمْ	وَفِيَم تَخَلَّفُوا عَنْهمْ وغَاروا
فلا أجنادهمْ، تبدو احتشادًا	لِنَجْدَهم، ولا يهتز جارُ
وأسيافُ العروبة، وهى كُثرٌ	مُثَلَّمَةٌ وليس لها شِفَارُ
تَكَسَّحتْ المروءةُ فهى خجلى	يُعَطلُها التَّخَلفُ والفرارُ
فَلا مِنْ صَحْوَةٍ منهمْ تُلبى	ولا مِنْ نخوةٍ فيهمْ تثارُ
لهم «قممٌ» يحار المرءُ فيها	وما فيها لما يجرى اعتبارُ
تنادي بالسياسةِ وهى خزيٌ	أمامَ المعتدي الباغي، وعارُ
فما تجدي، إذا اختلَّتْ وضلَّتْ	موازينٌ وأعْجَزَها القَرارُ
وما نفعُ العقول إذا تساوى	لَدَيها مَنْ يُضِيْرُ، ومن يُضَارُ
تطاردنا بُغَاثُ الطَّير أنّى	نزلنا لا نُحَبُّ، ولا نُجارُ
وتلحونا بأقلام تَدَنَّتْ	لَها فى كُلِّ مَوْبَأةٍ شِعَارُ

تَهِيُج كَما دبابيرِ علينا — وتَلْسَعُنَا، ويُؤذينا السُّعَارُ
ضَمَائرُها مُعَطَلَةٌ، وفيْها — تَرَبَّعَتْ المذلةُ والصَّغَارُ
وغزةُ فى مَعَاركِها افتداءٌ — صَبَاحَ، مساءَ، يعلو الإنفجارُ
فَلَيْسَ تنامُ، والمُحْتلُ ظُلمًا — لهُ فيها وُجودٌ وانتشارُ
تُضَحِّي فى سَبِيلِ النَّصرِ مَهْمَا — يَضِيقُ بها ويشتدُّ الإسارُ
وتؤمنُ أنهُ ما طَالَ ليلٌ — بِها، إلا وأعقبهُ نهارُ

القاهرة : ١٩٩٢

غزة لا يغرقها البحرُ..

[تمنى رابينُ لو أنّ البحر يُغرقُ غزة]

(١)

عَروسُ البحرِ، يارابينُ لا يُغرِقُها البَحرُ
ولا يُغرِقُهَا الحِقدُ الذى تحملُ والشَّرُ
فكمْ أيدٍ كَسَرتَ بِها، وما ركَّعَها الكَسرُ
وكمْ أمٌّ بها رَمّلتَ، ما أرهَبَها الغَدْرُ
وكم طفلٍ بها يَتّمْتَ، شَبَّ لواؤهُ الثَّأرُ

(٢)

حِجَارتُها التى ثارتْ بوجهكَ عسكرٌ مُجْرُ
صِغارٌ مِنْ براعِمِها تفح كأنها الجَمْرُ
صغارٌ مثلُ موجِ البحرِ، مادُحروا ولا انجرُّوا
تطأطئُ هامةُ الدُّنيا، لهمْ ويُطأطئُ الكِبْرُ
أعادونا إلى التّاريخِ، منهُ المجدُ والفَخْرُ

(٣)

وغـــزةُ هذه القلعـــةُ مـــا زلزلهـــا القَـــهْـــرُ
ولا أرهبَــــهـــا هذا الحِــصَـــارُ الشَّـــائنُ المُرُّ
ولا ذلتْ، ولا هَانَتْ ولا اسـتـخـذى بهـا نسْـرُ
وليس يبـاعُ فى سُـوقِ النَخـاسـةِ عندَها شِـبْـرُ
عـروسُ البـحـرِ، يحـضنهـا النَّدى والضَّوءُ والعطْرُ

(٤)

لنـا غـــزةُ ياهذا، لنا رَبَواتُهَـــا الخُـــضْــــرُ
لنا الشُّطآنُ والسَّـاحـاتُ، والأشـجـارُ والزَّهْرُ
لنا زيتُـونهـا المسروقُ، والجُـمَّـيْـزُ والتَّـمْـرُ
لنا ليـمـونُهـا وكُـرُومـهـا وعطاؤها البكْرُ
لنا الشَّـمسُ التى تعلو نواحـيـهـا لنا البـدْرُ
فكيف البـحـر يُغـرقـهـا ومنهـا الحُبُّ والخـيـرُ
وفـيـهـا يُرفعُ التَّكبـيـرُ عـالٍ، يَنهضُ الذِّكـرُ
ودقـاتُ النَّواقـيسِ العـذابِ كـأنهـا الشِّـعـرُ
مـدينتنا مـقـدسـةُ التُّـرابِ رداؤها الطُّهـرُ

(٥)

لغـــزةَ تخـــشعُ الأمـــواجُ، يَعْنُو المدُّ والجـــزْرُ
ويدري البـــحـــرُ أن لهـــا، وليسَ لغـــيـــرِها الأمـــرُ
تقـــولُ لهُ على الأعـــداء كُـــرَّ، إذا هُـمُـــو كَـــرُّوا
فكمْ مِنْ حـــولـهـــا الأعـــداءُ رُدُّوا ذلةً فـــرُّوا
وكم غـــيَّـــبَـــهمْ مـــوجٌ، وكمْ واراهـمُ قَـــبْـــرُ

(٦)

فـــغـــزةُ هاشمٍ هذى، لهـــا من ذِكـــره ذِكْـــرُ
عـــروبتُـهـــا على التـاريخِ، يَحْـفَظُ إسـمـهـا الدَّهرُ
فـــمن كنعـــانَ حـــتى مُنتـهى الدُّنيـــا لهـــا الصَّـــدْرُ
وغـــزةُ فى كـــتـــابِ المجـدِ، خَلَّدَ إسـمَـهـــا عَـمْـــرو
حُـــمـــاةُ الدّار أهلوُها، بهـــا ولأجلهـــا قَـــرُّوا
عـــمـــاليقٌ فـــوراسُـهـــا، أباةٌ عَـــسْكرٌ كُـــثْـــرُ
فـــمـــا خُلعـــوا ولا ركـــعـــوا ولا أعـــيـــاهمُ الصَّـــبْـــرُ
مـــيـــامينٌ لهم فى الحـــربِ، إمـــا لوَحتْ قَـــدْرُ
وليسَ لـنـاكصٍ عنهـــا إذا مـــا دُوهـمتْ عُـــذْرُ

(٧)

تقــولُ البــحــرُ يُغــرقُــهــا ، وتحلمُ لو بهــا يَذروا
ومنهــا يهــدرُ الزّلزالُ فــيــهــا يُجــمعُ الحــشــرُ
لأن مــديـنةَ الأبطال لا يَهْنَى بِهَــا الغَــيْــرُ
فَــمنْ «شــمــشون» حــتى أنتَ، حــتى ينتــهى العُــمْــرُ
تظلُّ عــصــيــةً غــزةُ، يبــقى شــعــبُــهــا الحــرُّ
يؤرق أعينَ الأعــداء لفحُ صــمــودها الــمُــرُّ

(٨)

هنا غــزةُ، يعلو صــوتُهــا، يتــفــجــرُ النَّبْــرُ
بأنَ لنا وليسَ لكمْ، بهــا يتنفسُ الفَــجــرُ
وإن لنا وليسَ لكمْ، بهــا يتــحــقــقُ النَّصــرُ
يقــولُ صِــغــارُها البُــســلاء يعلو ينهضُ الجــهــرُ
عــروسُ البــحــرِ يارابينُ، لا يُغْــرِقــهــا البَــحْــرُ

القاهرة : ١٩٩٢

عــودة الغــائب

[.. فى أحضان غزة - بعد غياب سبعة وعشرين عاما]

(١)

أتيتُ غَــزَّةَ، طيــراً شــارداً تَعـبَــا
قَــضَى سنينًا طَريدَ الدَّارِ مُــغْــتَــرِيا
مُــجــرَّحَ القَلْبِ، مَكلومَ الفُــؤاد فَــمَــا
لَديه عــانى كَــثــيْــراً، جُــرِّعَ السَّــغَــبــا
وقــفــتُ فى بَابِهــا، لَهــفــانَ مُنتَظِراً
إذْنَ الدُّخُــولَ، مَــشُــوقَ الرُّوحِ مُــرْتَقِــبــا
أبعــدَ كُلِّ سِنينِ العُــمْــرِ، يوقِــفُنى
فى بَابِهــا، غَــاصبٌ، مــازالَ مُــغْــتَــصِــبــا؟
يَقُــولُ لى، وهو بالعــينين يأخُــذُنى
منْ حَيْــثُــمــا جئتَ، عُــدْ. . يا أنتَ مُنْقَلِبــا!!
أعــودُ كَــيفَ. . ؟ فَــيُلقي نَظْرَةَ جَــرَحَتْ
قَلبي، أثارتْ به الأحــزانَ والغَــضَــبَــا
هذا الغَــريبُ، كــمــا الشَّــيطان يوقِــفُنى
فى بَابِ غَــزَّةَ. . ياويلاهُ، يا عَــجَــبَــا

(٢)

حَـــــاوَرْتُ. . دَاوَرْتُ إنِّي هَـهـنـا أبـداً
وَلَـنْ أعـــــودَ، ولـوَ مـــزَّقْـــتَنى إربَا
وبَعْـدَ سَـاعـاتِ مَـرَّتْ مِـثْلمَـا عُـمُـر
مِـنَ السِّنِين، وَقَلبى نَازِفٌ لهَـــبَـــا
عَـــبَـــرتُ مِنْ رَفحٍ، شَـوقَــا، إلىَ رَفَحٍ
أغُـذُّ خَطْوِيَ، مُـشْـتَـاقَـا، وَمُـقْـتـرِبَا

(٣)

أتيتُ غَـزَّةَ، أمـشِي فى شَـوَارِعِـهَـا
مَـضَـيَّعَ الوَجـهِ، لا إسْـمَـاً، وَلا لَقَـبَـا
أدورُ فـيـهَـا كَـمَـجْنُون يُدَلّهُـهُ
حُبٌّ، أضَـاعَ بِهِ مِنْ عُـمْـرِهِ حِـقَـبـا
أسَـــائِلُ الرِّيحَ، والأمـطارَ عَنْ ولـد
كَمْ فى شَـوَارِعِـهَـا، كَمْ دَارَكم لَعِـبَـا
كَمْ بَاكَـرَ الطَّيرَ فى صُـبحٍ يُغَـازِلُهُ
وكَـمْ على الشَّطِ، كَـمْ غَنَّى، وكَـمْ وَثَبـا

(٤)

أهذهِ غَـزَّتِى، مَنْ كُنْتُ أعْـرِفُـهَـا
لا تقْـبَلُ الظُّلمَ، لاَ تَسْـتَـمْـرِىءُ الغُـرَبَا

مـــا بالُهـــا طأطأتْ، للرِّيحِ وانْكَسَـــرَتْ
وَسَلَّمَتْ أمـــرَها نَهـــبَـــاً لِمَنْ نَهَـــبَـــا

أدورُ شَـــرقـــاً، وغَـــرْباً في أزقَـــتِـــهـــا
أُسَـــائلُ الدَّورَ، والجُـــدْرانَ، وَالْخَـــشَـــبَـــا

عَـــمَّنْ حَـــمَلتُ لَهُمْ عُـــمـــري مَـــحَـــبـــتـــهَـم
وَمَـــا تَـخَلَّفَ قَلبي عَنهـــمـــو، ونَبَـــا

كـــانوا أمـــام عُـــيـــوني، لا يُفـــارقُني
شَـــوْقٌ تَجَـــذَّرَ في الأعـــمـــاقِ وانْسَكَبَـــا

وكُنْتُ أزْهُو بِـهِـم، أعلو بِذِكـــرِ هـمـــو
في إيَّمَـــا مَـــوْقِعٍ، أسْـــمُـــو بِهِمْ نَسَـــبَـــا

وأعـــبـــرُ الآهلَ المَسْكُونَ مُنْدفَـــعـــاً
نَحـوَ الحَـوَاكـيـرِ، مُـشْـتَـاقـاً، وَمُنْجَـدِبَا

تَـدُورُ عَـــيْـنَـايَ، فـي حُـــزْنٍ وَفي وَجَـعٍ
تُحَـــاورُ التِّينَ، والزَّيـتـــونَ، والعِـنَبَـــا

أغـــزةٌ هَـذِهِ، مَنْ كُـنتُ أعـــرِفُـــهـــا
شَـــمَّـــاءَ لا تَرتَضي، ذلاً وَلا نَصَـــبَـــا

عـــمـــراً قَـــضَـــيتُ، أغَنِّي في مَـــفَـــاتنهـــا
في حُـــبِّـــهـــا، أبدعُ الأشـــعـــارَ والأدَبَا

كَـمْ تُقْتُ، مـــا تَاقَ مِـثْلي «الشَّـــافـعي» لهـــا
وَحَنَّ منْ مَكَة، شـــوقـــاً لـهـــا، وَصَـــبَـــا

فـــودَّ لـو كُـــحِّلَتْ بالتُّـــرْبِ مُـــقْلَتُـــهُ
مِنْهـــا، ونَاجي بِهـــا الإســـلامَ العَـــرَبَا

مـــا بالهُـــا مِـــثْلُ حَـسْنَاء مُـعَـفَـرَة
شَـــاخَتْ، وكُلُّ الذَّى أهواهُ قَـــدْ خَـــرِبَا

(٥)

هـذى المَـدِيْـنَـةُ، مــــــا نَـامَتْ ولا رَكَـنَتْ
لظَالـمٍ . . واســـألوا التَّـــاريخَ والكُتَـــبَـــا
رَدَّت زحـــوفَ الصَّلِيـــبينَ وانْتَـــصَـــرَتْ
عَليــهـمـو دَحَـرَتْ جـيـشًـا لهمْ لَـجِـبَـا
ويومَ دقَ «هـولاكـــو» بَـابَـهــــا وَقَـــفَـتْ
فى وَجـهــه، تُعْلِنُ العِـصْـيَـانَ والغَـضَـبَـا
رَدَّتهُ مُنْهَـــزِمـــاً، رَاحَـتْ تُـلاحِـــقَـــهُ
«لعينِ جـالوت» حـتى أنْهـارَ وانْسَـحَـبـا

(٦)

وَقَـــفْتُ بالمَسْـــجِــدِ المعـــمـــور أسَـألُهُ
عَنِ الأَحِـــبـــة، مَنْ صلى، وَمَنْ خَطَبَـــا
وأســــتـــردُّ زمـــاناً، كُنْتُ أحـــمِلُه
بينَ الجَـــوَانِحِ، مــــا ولَّـى، ولا ذَهبـــا
أجىءُ «كُلِّيــــتى» عَلَّى أشـــيمُ بِـهـــا
مِنْ نَفْحِ أيامِـــهــــا، بعضَ الـذَّى غَـــرُبَا
أعـــيـــدُ ســـوقَ عُكَاظ بعضَ ذاكـــرتِى
أيام كُنَّا بِـهـــا الشُّـــعـــراءَ والأدَبَا

وأستعيدُ لياليها، مجالسَها
وأبعثُ الرائعَ الماضي الذي حُجِبا

(٧)

هذي المدينةُ في الوجدان ساكنةٌ
هيهاتَ، ما همَّها مَنْ ضلَّ أو كَذَبَا
فيها البطولةُ، حطَّتْ عندَ مولدها
تَطَاولَتْ أفرعًا، واخضوضرَتْ حَسَبا
مدينة دوَّنَ التَّاريخُ قصَّتَها
بما تسَامتْ به عزًّا لها وإبَا
مدينةٌ في كتابِ المَجْدِ منزلُها
مخلدٌ بمدادِ النُّورِ قدْ كُتِبَا

(٨)

أجيءُ بعدَ اغترابي، كَيفَ تُنكرُني
أحاولُ الجُهْدَ، أستَقري بِها السَّبَبَا
ماذا أغيَّرَها، بَعْدي وبدَّلهَا
مَنْ حطَّ في أرضِها ظُلمًا ومَن غَصَبَا
الإحْتِلال الذي قاسَتْهُ صابرَةً
وَعَفَّرتْ أنفَهُ، فانزاحَ واحْتَجَبَا
يومَ انتفاضَتِها في وَجْهِه وثَبَتْ
ما مِثْلُها عَرَفَ التَّاريخُ، أو كَتَبا

اللهُ أكــبـــرُ زلزالٌ، وعـــاصـــفَـــةٌ
أقـــوى منَ الغَــادرِ البَــاغي، ومَــا جَلَبَــا
فـــلا السِّـــلاحُ الذّي وافـــاهُ أعْـــجَـــزَها
ولا الجـيـــوشُ ولا مَنْ جَـــارَ وَاسْـــتَلبَــا
ولا سِـــيَـــاسَـــةُ تَكْـسِـيـــرِ العِظَامِ ولا
مـــا دبَّرَ البَــغيُ فى ليلٍ ومَـــا نَصَــبــا

مَـــــــدينتى ليسَ لى فى الكَونِ من بلدِ
ســـــواك، مـــازلْتِ لي أُمـــاً هُنا وأبا
أجيءُ طـالَ حَنينِي طالَ بِي لَهَــــفي
أضَعْتُ عُـمْـرِي، مُشْـتَـاقًـا ومُـغْـتَـرِباً
ظَـلَلْـتُ مِـنْ بَـلَـدٍ أمْـــــضي إلى بَـلَـدِ
أجُـــرِّعُ الظُّلْمَ، والأحـــزَانَ والسَّـــغَـــبـــا
أجيءُ بعـــدَ إغـــتـــرابي، والوَفَـــاءُ مَـــعي
حَـــمَلْتُـــه، وَحَـــمَلتُ الإسم والنَّسَـــبـــا
هَـاتي يـديـكِ خُـــــــذيني إنَـنـي تعبٌ
أتيتُ أنفضُ عَنِّي الحُـــزنَ والتَّـــعـــبَـــا

القاهرة ١٩٩٤

فهرست

رقم الإيداع ١٠٣٠٦/ ٩٨
الترقيم الدولى 3 - 0481 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥(٠١)